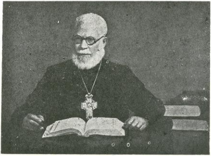
الدكتور نظمي لوقا في الميزان

ردّاً على كتابه

«محمد، الرسالة والرسول»

بقلم

القمص سرجيوس



القمص سرجيوس

الطفل نظمي في حضن شيخ الجامع

لم يدهشنا ان مسيحيا يكتب عن محمد كما لم ندهش لمسلم كالاستاذ عباس العقاد يكتب عن المسيح لان من حق الناس ان يبحثوا كل رسالة لرسول يدعوهم لاعتناقها .

واذا كنا قد تصدينا لكتاب العقاد ، فقد كان التصدي لعنونته كتابه « عبقرية المسيح » .

والسيد المسيح هو ابن الله النازل من السماء وقد حبل به من الروح القدس ، كما يقول الانجيل والقرآن ، وله السلطان على اخراج الشياطين ومن ثم فسموه الفائق ليس عبقرية ؛ انما هو لاهوت متجسد .

اما اذا تعرضنا اليوم لكتاب الدكتور نظمي لوقا فلانه :

اولا ـ بقي مسيحيا بعد ان آمن بمحمد وديانته واعترف بأنها الديانة التي جاءت لتصحيح خطاء اهل الكتاب ، وانها الديانة التي ما بعدها دين والتي حلت محل اليهودية والمسيحية الى اخر ما وصفها به من الاوصاف المتناهية السمو والكمال ، وبعد ان جعل من الديانة المسيحية مطرحا لكل زبالة افكاره . فقال

انه لم يبق فيها الا الذين لم يتطوروا ، وانها عجزت عن ان تلاحق تطور البشر ومستويات ادراكهم ووعيهم العمراني !!

فهل تراه لا يزال في شك مما كتب فيتوقع منا ردا يقنعه بفساد رأيه فيظل قابعا في مسيحيته ؟

او ان غروره بلغ حدا توهم معه ان المسيحيين يعجزون عن الرد عليه ، فيندفع الى اعتناق الاسلام في زفة مقطوعة النظير ، تطوف الشوارع وربما بلاد القطر باعتباره بطلا من ابطال التاريخ استطاع بجرة قلمه ان يحطم صخر المسيحية التي تحطمت عليها جميع قوات الجحيم ؟!

او انه بقي متترسا في مقعده من المسيحية ليكون البرهان اقوى البرهان ضد المسيحية ، ولصالح الاسلام ، على قاعدة : « وشهد شاهد من اهلها » ، الامر الـذي كشفه الاستاذ امين الخولي في تقريظه للكتاب اذ قال : « فانه وهو القبطي الصليبة.. يملك من امر تلك النفس ما يستطيع معه ان يكتب عن محمد الرسول ورسالته » .

وثانيا ــ تعرضنا لكتاب نظمي لانه كتب عن محمد على حساب المسيح ، بينما كتب الكتّاب المسلمون عن المسيح ولكن ليس على حساب دينهم ، بل كانوا اذا ما اضطروا الى تدوين حقيقة عن المسيح لا يمكن انكارها ، كانوا يكتبونها في لباقة وخفة يد بحيث يتحاشون الاصطدام مع دينهم وكتابهم ، وبحيث لا يشعر القارىء انهم هربوا او تحاشوا عن الاصطدام !

اما الدكتور نظمي المسيحي الصليبة كما يصف نفسه فقد خيل اليه ان يذيب المسيحية ويجعل منها مدادا يصوغ به عقود مدح لمحمد ودينه ، الامر الذي لحظه قارئو كتابه فقالوا : « انه مسلم اكثر من المسلمين ومحمدي اكثر من محمد ! » بدليل انه اخذ يفسر آية القرآن : « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » فقال في صفحة ١٣٤ : « ان أهل الذكر هم من يذكرون الله ويصدقون ويتقون » ، وهذا التفسير يخالف تفسير أئمة الدين الاسلامي وفي مقدمتهم الامام البيضاوي الذي فسرها بقوله : « اهل الذكر هم اهل الكتاب او علماء الاحبار » ؛ بل يخالف نص القرآن الصريح : « وان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » ، كما يخالف سياق الكلام ، وهذا التعسّف من الدكتور نظمي المسيحي لانه لا يريد ان يعترف بكتاب اليهود والنصارى أهل الذكر ، ومن هنا تأكد لقرّاء كتاب نظمي صدق القول المشهور : « المتعصب دخيل »!

اما انا فلا اقول ان الدكتور نظمي دخيل على الاسلام بل هو معجون بالاسلام عجنا ، بل على حد القول : « نزل من بطن امه مسلما » ، وهو بنفسه قد كشف عن حقيقة ولادته في الاسلام اذ قال في الصفحة ٣٣ تحت عنوان « صبي في المسجد » :

« صبي قصير نحيل واسع العينين لم يتجاوز السادسة الا قليلا يقطع الطريق جادا مسرعا بعد صلاة العصر بقليل الى مسجد

في السويس ليرى الشيخ جالسا ، ويهش الشيخ للقائه .. ويتأبط الشيخ الكفيف ذراع الصبي الى ان يدخل الشيخ وتلميذه من باب المسجد ليبدأ درسهما اليومي من بعد صلاة العصر الى العشا - وفي مدينة السويس يعرفون ان لهذا الموظف ، والد الصبي ، ارومة معرفة في صناعة القسوس فكم له من جد من ذوي الطيالس السود والعمائم السود ... فلا شك اذن من قطبية هذا الصبي الذي يرونه كل يوم يؤم مسجدهم الحنيف مع الامام العالم الشيخ ، وان الحيرة لتستبد بهم ، ثم تأخذهم نافلة من الغيرة يتهامسون فيما بينهم ويتناجون ، ومن أمّ منهم المسجد لصلاة المغرب رأى الشيخ ينفض يده من درس الفتى في مؤخرة المسجد ويتقدم فيؤم المصلين ، ثم يعود ليصل من الصلاة ما انقطع والفتى ينظر اليهم مصلين ويسمع ما "يتلى في الصلاة وفي عينيه ذلك التطلع القلق ، فمنهم من يزورّ عنه ، ومنهم من يحملق فيه بفضول ، وخرج بعضهم من النجوى الى العلن ، فجاهر الشيخ بما في نفسه وراجعه فيما يفعل ، ان كان حبًّا للتدريس ففيم رفض التدريس لابن فلان ، وفلان من الوجوه !..

« ويتابع الدرس وكان موضوعه (سورة الضحى) ويتلو الصبيّ السورة بلسان قويم وايقاع سليم ، ويختمها بصدق الله العظيم . ثم يشرع في تبين معانيها مستشهدا بسيرة الرسول الكريم ، والشيخ يناقشه حينا ويوجهه حينا اخر ويستوضحه حينا ثالثا » .

هذا ما كتبه الدكتور نظمي بيده عن كيفية عجنه بالاسلام .
وكيف لم يُعجن بالاسلام عجنا وهو منذ نعومة اظفاره لم يمكث في حجر امه ولا رضع من لبانها بقدر ما مكث في حجر الشيخ وحضن الجامع ورضع من لبان تعاليمه ، ولا تمتع بابتسامة والديه بقدر ما شبع من ابتسامات الشيخ منذ كان كالعجينة اللينة او الشمع الطري القابل للتشكيل والطبع بأي طابع « والعلم في الصغر كالنقش على الحجر » او كما قال سليمان الحكيم : « ربِّ الولد في طريقه فمتى شاخ لا يحيد عنه » . ولاسيما وان الشيخ قد اصطفاه دون صبيان المسلمين والمسيحيين ، وخصص ذاته لتدريسه دون سواه ، غير مبال بهمسات الناس ولا مجاهرتهم !

هذا التخصص والانفراد مكّن الشيخ من ان يصب العلم في الصبي صبا فجعله يحفظ القرآن ويجوّده بأقوم لسان في السن التي يكون فيها لسان الصبي مائعا لا يضبط اللفظ تماما ولاسيما لفظ القرآن ! الامر الخارق العادة ! وكيف لا يكون خارقا أنّ صبيا في السادسة من عمره يستطيع بعد التلاوة مباشرة ان يبيّن معاني السورة ، والشيخ يناقشه ، ويقلبه على كل الوجوه ! الامر الذي لم يُسمع عنه في العالم الاسلامي ، لا في اولاد الصحابة ولا المقربين، ان تمتع صبي منهم بمثل ما تمتع وامتاز الصبي نظمي من ذكاء وحظوى !

ولم يسمع قط عن شيخ استطاع ان يجعل من نفسه لدى طفل في السادسة من عمره كل شيء في الحياة ، كما كتب نظمي

بيده في الصفحة ٤١ ، قال : « أمن عجب بعد هذا ان يكون الشيخ ملاذ الفتى في كل كلمة ، ونبراسه في كل مدلهمة ، وقدوته التي يأتم بها عقلا وقلبا وعاطفة وضميرا ، لقد اصبح الشيخ القزم عملاقا ، وسكن اليه الفتى واطمأن ، وأخذ نفسه بأدبه وفضله ، أمره الامر ، ورأيه الرأي ... والشيخ من وراء ذلك كله أعز عليه من اهل الدنيا جميعاً ! »

يعني أعز من والديه انفسهما ، لان كلمة جميعا دلت على ان ليس لوالديه مكان بجوار الشيخ !

ولعل نظمي اتخذ هذا التعبير عن عبيدة الذي قال : « أن تكون عندي شعرة من شعر النبي أحب الي من الدنيا وما فيها (البخاري) » .

وكيف لا يكون هذا الشيخ القزم عملاقا لدى الصبي وقد صنع معه المعجزات التي لا تستطيع العقول ادارك كنهها ! جعل الطفل يشعر في غير ميعاد الشعور بالملمة والمدلهمة ، كما جعله يقوى على احتمالها ، بقدرته القادرة ، كلما لاذ بالشيخ ملاذه !

فهل يُستغرب من صبي هذه نشأته وهذه عجنته ان يتهجم على المسيحية بهذا القلم المغموس في دواة صُب فيها ما صب في طفل كان يعيش ذلك الوقت في العقل الباطن وراحت تلاحقه ، في هذه السن ، الصدمات النفسية كما يقول هو في الصفحة ٤٧ :

« واصيب شقيق الفتى في مهده بمرض طويل اكل علاجه الاخضر واليابس ثم مات فركب الاسرة دين : وسافرت ام الفتى ــ وهي حامل في شهرها الثامن ــ الى القاهرة تطلب من أمها الثرية ، حفيدة القسوس ، جزءا من حقها القانوني في وقف جدتها ، وكانت أم الفتى وحيدة أمها ، ولبثت الام من سفرها ثلاثة ايام أحس الفتى فيها بالوحشة ، ثم عادت الام من سفرها خالية الوفاض ، دامعة العين ، وقد أبت عليها أمها الثرية حقها وهي بين الثكل والحمل والحاجة ، مهيضة الجناح مضعضعة النفس » •

« وقررت الاسرة ان تضغط المصروفات كلها لمواجهة الازمة فانتقلت الى بيت ارخص أجرا وقطعت تيار الكهرباء ، واستغنت عن الخادم والغاسلة ، واقبلت الام الحبلى تعمل بيديها كل شيء حتى الخبز ، فحز ذلك في نفس الفتى الذي يكاد يعبد أمه من دون الله » •

لقد تكاملت في اضلاع نظمي ناران : نار الحب التي أشعلها الشيخ في قلب الصبي بتعليمه ، ونار الكره للمسيحية التي اضرمتها جدته في قلبه بقساوتها • وكل هذا كان له أثره الفعال في نفسه في حال طفولته! فاذا قيل عن البعض انهم يعيشون في دور الطفولة، فذلك لانهم صُدموا بصدمات شديدة في طفولتهم كالصدمات التي صُدم بها الطفل او الصبي نظمي ، فعاش متأثرا ، ومتأثرا بما لاقته امه من قسوة وما لاقاه هو من ضيق وفقر ومرارة ، تتفاعل فيه تلك العوامل كلها ، عوامل الحب للشيخ وعوامل البغضة

لجدته ودين جدته !

ولم تقف الصدمات النفسية عند حد بل جاءت الصدمة تلو الصدمة ، كما يقول الدكتور نظمي في الصفحة ٤٨ : « وتقرر الاستغناء عن الدرس » وأي درس ؟ ! درس الشيخ الذي أصبح ملاذه ، والذي اودعه قلبه وعقله وضميره وارادته ، والذي صار لديه اعز ما في الدنيا ! فكان كل شيء يهون على الصبي الا الحرمان ممن أصبح لديه أعز ما في العالم ».

وأظن ان القارىء لا يصعب عليه الوقوف على ما اصاب الصبي عندما قرر الوالدان هذا القرار الذي لا يقل وقعه على قلب الصبي من تلاوة حكم الاعدام !

وعندما تتجمع كل هذه الصدمات وتلتف حول رقبة الطفل كما يلتف حبل المشنقة ، اذا بالشيخ "يقبل مسرعا ليرفع حبل المشنقة عن الصبي وعن والديه » واليكم ما كتبه الصبي لوقا في الصفحة ٤٨ « ان الشيخ جاء يسعى الى بيت الصبي ويعرض على أبيه استئناف الدرس للصبي مجانا في بيته كل يوم »

وهنا عادت الحياة وانقطع حبل المشنقة بهذه المباغتة التي لا يستطيع أحد أن يصفها الا الصبي لوقا على حد قول الشاعر :

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانيها !

فقد كتب في الصفحة نفسها يقول : « ولم "يسع الفتى الا

ان يقارن في نفسه بين فعل جدة تنتمي للمسيح وتتشدق باسمه ، وبين فعل شيخ يصلي بالنـاس على محمد وآله خمس مرات في كل يوم ».

فمن كل ما تقدم يقف الناس على سر حملة الدكتور نظمي على المسيحية ، وسر بركانه الثائر الذي يقذف منه حمم كراهيته للمسيحية واتخاذه من الاسلام والدفاع عن الاسلام فوهة يقذف منها ما يتوهمه حمما وما هي الا بويضات تموت في حضنه !

وكنا نود ألا تتعرض للدفاع عن جدة نظمي لولا انه جعل منها ومن شيخه مقارنة بين الاسـلام والمسيحية ، وأراد أن يبين قسوة المسيحية وتأثيرها في اتباعهـا من جهة ، وحنـان الاسلام وعطفه وتأثيره في اتباعه من الجهة الاخرى • وكان له أن يمتدح الشيخ ودين الشيخ ما شاء المدح دون التعريض بالمسيحية ؛ أمـا وانه مغلوب من عادته ، والعادة "تدرج مع صاحبها في الكفن ، وعادته ان لا يمتدح محمدا والاسلام الا على اساس التشنيع على المسيح والمسيحية ، لذلك أهمس في اذن نظمي ـ ان كانت هناك عنده بقية من الاستعداد للسمع ـ هل تظن ان قسـاوة جدتك عليك وعلى أمك الى هذا الحد الذي شرحته كان بسبب كونهـا مسيحية ؟ أو لان همس أهـل السويس الذي كانوا يتهامسونه عندما يرونك كل يوم مـع الشيخ ، داخل الجـامع ، دون جميع صبيان السويس ، قد بلغ بصوت مكبر الى جدتك في القاهرة ، وقيل لها ان حفيدك قد سلمه ابواه الى شيـخ جامع السويس ،

وهو في السادسة من عمره ، ليرضعه لبن التعليم الاسلامي ، وان حفيدك صار موضوع حديث الناس وتساؤلهم ودهشتهم ؟ !

فلو كنت انت حفيدا لشيخ الجامع نفسه وسلمتك امك ليد قسيس داخل كنيسة ليعلمك الديانة المسيحية ، وأصاب امك من الضيق المالي ما اصابها ، وذهبت الى امها زوجة الشيخ المسلم تطلب مساعدة مالية او كسرة خبز ، فهل كان شيخك العملاق يقدم لها هذه المساعدة ، او كان على العكس من ذلك يرجمها ويحرقها لانه يعتبرها مرتدة عن الاسلام ؟ ! ..

اذن لم تكن جدتك قاسية في جانب امك بل غضت الطرف عنها معتبرة اياها كما اعتبرتها ؟ !

وان هناك شيئا واشياء عملت فيك ، وقد اشرت اليها في مقدمة كتابك (ص ٣١) حيث قلت : « ولست أنكر ان بواعث كثيرة في صباي قربت بيني وبين هذا الرسول ، وليس في نيتي أن أنكر هذا الحب او اتنكر له بل اني لاشرف به واحمد له بوادره وعقباه ! »

الاية الكبرى

كتب نظمي تحت هذا العنوان فـي الصفحة ٤٩ يقول عن نفسه :

« وقف الفتى الذي درج الى الشباب وقفة لم يكن منها مناص : ان تكن هذه الاديان صحيحة ، فبأي مقياس يمكن الطعن في صدق رسالة محمد »

حق ما قيل : « ان اول القصيدة كفر » • وقد انطبق هذا على الدكتور نظمي الذي تنطع للدفاع عن الاسلام فأكرهه الحق الالهي على أن يتكشف ويكشف أوراقه من اول لحظة ، وفي اول خطوة يخطوها في سبيـل الدفـاع عـن الاسلام فاذا بجعبته لا تحتوي الا على أسلحة هي السخف بعينه !

وبما ان السخف لا يعالج الا بالسخف فنضع امـام نظمي لوقا سخافة مثل سخافته ونطالبه بمثل ما طالبنا به فنقول له :

ان تكن الاديان الثلاثة ــ اليهودية والمسيحية والاسلامية ــ صحيحة فبأي حجة وبأي مقياس يمكن الطعن في صدق رسـالة محمد علي ميرزا الزعيم الديني البهائي ؟ !

فهل يسلم الدكتور نظمي بهذا التحـدي ويعترف بصدق

رسالة زعيم البهائيين ؟ أم يقول ان هذا تحد" باطل وسخيف؟ فان اعترف بزعيم البهائيين بناء على المبدأ الفاسد الذي وضعه هنا في صورة تحد ، كان له من حكم محكمة القضاء الاداري الذي اصدرته على الطالب البهائي بحرمانه من الجنسية المصرية ونشرته في اهرام ١٩٥٩/١٠/٣١ ، خير الجزاء .

وان خاف من حكم المحكمة فيضطر مكرها الى الاعتراف بسخف تحديه الذي تحدى بـه الاديان ! وسـواء اعترف أو لم يعترف فسخافته هذه ستظل مثالا للسخف والهذيان !

ولما كان المبني على الفـاسـد فاسـدا ، فان الدكتور نظمي بعدما وضع التحدي السخيف الذي أظهرنا مقدار سخفه راح يبني على هذا التحدي مبدأ اكثر سخافة وفسادا منه فقال :

« ما من نبي حمل الينا توكيلا موثقا بأنه ينطق بلسان الوحي وانما كانت آيته صدق ما أتانا به »

ونحن نسأل نظمي: من أين أتيت بهذا القول او هذا التقرير؟ أمن نفسك ام من أئمة المسلمين الذين كان يجب عليك ان تعرض عليهم اولا ما أعددت من ادلة للدفاع عن دينهم لئلا تتحطم أدلة دفاعك في أول خطوة تخطوها ، فتعرضهم للخجل بالنيابة عنك ، بلا ذنب جنوه أو اقترفوه ؟ !

اذن من أين أتيت بهذه السخافة او بعبارة أصح هذا الانكار والجحود لكتب الاديان الثلاثة التي كل صفحة من صفحاتها تعلن

عن التوكيلات والوثائق الموثقة التي حملها الانبياء والرسل للتدليل على انهم ينطقون بلسان الوحي الالهي •

فهاك التوراة وما ورد فيها عن موسى النبي لما أراد الله ان يرسله الى بني اسرائيل وفرعون ، فلقد قال موسى : « ولكن ها هم لا يصدقونني ولا يسمعون لقولي ، بل يقولون : لم يظهر لك الرب »

فجعل الله آياته في يده كالعصا وكيف صارت ثعبانا ، ويده البرصاء كيف عادت صحيحة كالاخرى ، وتحويل الماء الى دم • ويقول الكتاب : « وصنع الآيات امام عيون الشعب فآمن الشعب » (خر ص ٤) •

وكذلك العشر ضربات والمعجزات الكثيرة بعد خروج اسرائيل من ارض مصر فقد ذكرت في سفري الخروج والعدد •

ثم الانجيل الكريم فقد امتلأت كل صفحاته بانواع المعجزات الباهرة التي صنعها يسوع المسيح من اقامة الموتى وشفاء المرضى وفتح اعين العميان واخراج الشياطين حتى لقد قال له المجد : « الاعمال التي انا اعملها باسم أبي هي تشهد لي ••• ان كنت لا اعمل اعمال أبي فلا تصدقوني ولكن ان كنت أعمل فان لم تصدقوني فصدقوا الاعمال (يو ١٠ : ٢٥ و ٣٧ و ٣٨)

لقد صنع ذلك كله مع ان صدق رسالته كان واضحا ومتجليا

في شخصه القدوس وحياته وطهارته ورحمته ومحبته لبني الانسان؛ وقد شعر سامعوه « بانه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة » (متى ٧ : ٩) ومع ذلك فقد دلل على صدق رسالته بعمل الآيات والعجائب .

والقرآن نفسه مليء بذكر الآيات والمعجزات . فقد جاء في سورة الاسراء قوله : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » ؛ وفي سورة طه : « وقالوا : يا موسى اما ان تلقي واما ان تكون اول من ألقى ، قال : بل القوا فاذا حبالهم وعصيهم يُخيل اليه من سحرهم انها تسعى ... وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا » ... الخ

وقد ذكر القرآن الكثير من النصوص الدالة على ان الله زود الانبياء بالآيات والوثائق الدالة على انهم يتكلمون بوحي منه تعالى ، كقوله في سورة البقرة : « سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة » ؛ وفي سورة آل عمران : « اني قد جئتكم بآية من ربكم ... فاتقوا الله واطيعوني » ؛ وفي سورة الانعام : « وقالوا : لولا أنزل عليه آية من ربه ... واذا جاءتهم آية قالوا : لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله » ؛ وفي سورة الاعراف : « ان كنت جئت بآية فأت بها ان كنت من الصادقين ؛ وفي سورة الشعراء : « ما انت الا بشر مثلنا ! فأت بآية ان كنت من الصادقين » ؛ وفي سورة الاعراف ايضا : « ثم بعثنا من بعدهم موسى بآيات الى فرعون وملاه » ؛ وفي سورة المؤمنون : « ثم

ارسلنا موسى واخاه هرون بآياتنا وسلطان مبين » ...

وجاء في سورة آل عمران عن معجزات السيد المسيح :
« ورسولا الى بني اسرائيل : اني قد جئتكم بآية من ربكم ، اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وانبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ، ان في ذلك لآية لكم ان كنتم تؤمنون » .

ويقول نظمي في الصفحة ٤٩ : « واما المعجزات فلا حجية لها الا لمن شهدها شهود العيان .. وبيننا وبين تلك اجيال واجيال . فتبقى بعد هذه الآيات المغايرة الآية الكبرى التي لا يثبت بغيرها صدق ولا يغني عن غيابها الف دليل مغاير مهما بلغت درجته من الاعجاز . وهذه الآية الكبرى هي صدق الكلمة من حيث هي . فان الحقيقة آية نفسها ، تحمل برهانها في مضمونها ، فيطمئن اليها العقل ويبدو ما يباينها هزيلا واضح البطلان » .

لو كان الدكتور نظمي جاهلا بنصوص القرآن الكثيرة كالتي اوردناها عن الآيات والمعجزات التي أيد الله بها رسله وانبياءه لكان له عذر عندما يقول « اما المعجزات فلا حجية لها الا لمن شهدها شهود العيان ! » اما وانه حفظ القرآن ، وفسر معانيه ، ونوقش فيه من شيخه وهو صبي لم يتعدَّ الست سنوات الا قليلا كما يقول ، فهو مسؤول عما قاله ، ويحق لنا اذ ذاك ان ننعته بالكفر لافترائه على الله سبحانه !

انه يتّهم الله الذي أرسل انبياءه بالآيات والمعجزات بقصر البصر والبصيرة ، وبضعف الحكمة والعلم اذ يرسل انبياءه بالآيات والمعجزات تأييدا لصدق رسالتهم وليس للآيات والمعجزات حجيّة ! . .

وكأن الدكتور نظمي يقول : لو كنت موجودا مع الله حين كلف انبياءه صنع المعجزات ، لكنت قلت لـه : وفر على عزتك وجلالك وعلى انبيائك ورسلك التعب والمشقة بصنع المعجزات ، لانها لا حجية لها الا لمن شهدها فقط فلا تفيد منها الاجيال الاخرى شيئا ! ! ايه ! يا دكتور نظمي ، لو كان ابوك وكانت وامك بنت القسوس قد فتحا لك كتابهما لما وقعت في هذا التجديف الذي هو شر من الكفر والالحاد ، بل كنت وجدت رادعا يردعك عن هذا السّفه ! لو وقعت عينك على ما قاله اشعياء النبي : « من قاس روح الرب ، ومن مشيره يعلمه » (٤٠ : ١٣) وما قاله بولس الرسول : « يا لعمق غنى الله وحكمته وعلمه ! ما ابعد احكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء ، اذ من عرف فكر الرب او من صار له مشيرا » (رو ١١ : ٣٣ و٣٤) اذن لما كنت وقعت في مثل هذه الحماقة والفجور ؟

لقد جئت بهذا السخف والتجديف لتصل منه الى الدفاع عن محمد فاذا بك ، يا حصيف ، تطعن بهذا القول في محمد ايضا وتتهمه بالعجز عن الجواب المفحم للذين طالبوه بالآيات والمعجزات، فكأنك تقول لمحمد ايضا : لو كنت انا نظمي الى جانبك يوم

طالبك العرب بالمعجزة لما بلغ بك ما بلغ « من كرب وانت تتوسل وتتحشّ وتضرع الى الله ان يرفع عنك هذا البلاء وينزل اليك وحيه ليرفع رأسك بين المشركين » (ص ١٧٤)

لو كنتَ ذلك اليوم معك للقنتك يا محمد الرد المفحم الذي اكتشفته انا نظمي ، وما اكتشفته انت : « ان المعجزات لا حجية لها الا لمن شهدها شهود العيان ، وان الآية الكبرى هي صدق الكلمة من حيث هي فان الحقيقة آية نفسها تحمل برهانها في مضمونها » !

فما قولك ، يا نظمي ، في الله تعالى هل كان عاجزا او جاهلا لقولتك الخائبة لانه ارسل انبياءه بالمعجزات ولم يقل لهم قولتك الخرقاء ليقولوها للناس : « ليس للمعجزات حجية، والآية الكبرى هي ان صدق الرسالة متضمن في ذات الرسالة » !

وما قولك ، يا نظمي ، في محمد الذي لما طالبه العرب بأن يأتيهم بمعجزة لم يقل للناس قولتك الخائبة ولا وجد فيها ردا مقنعا بل ولا شبه معقولية ، وانما قال للعرب في صراحة : « وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون » واتخذ سبيلا غير سبيلك الملتوي التجديفي اذ راح يدلل على صدق رسالته بأنها مصدقة لكتب اليهود والنصارى المؤيدة بالعجائب والمعجزات بقوله في سورة البقرة: «ولماجاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم » ، وفي سورة المائدة : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه »

ولما رأى محمد الحاح العرب عليه بطلب المعجزة استجاب اخيرا لهذا الطلب الملح ، بتقديمه القرآن نفسه آية على حد ما جاء في سورة الاسراء : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » ، وفي سورة البقرة : « وان كنتم في ريب مما انزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله »

ثم اتبعها القرآن بذكر معجزة أخرى لمحمد كما جاء في سورة الاسراء : « سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا » وقد ذكر البخاري حدثا مطولا عن هذا الاسراء فقال محمد : « فأتيت بدابة ابيض دون البغل ، وفوق الحمار ، البراق ، فانطلقت مع جبريل حتى أتينا السماء الدنيا .. الخ » (الجزء ٨ من الطبعة الجديدة ، والجزء ٢ ص ١٢٩ من الطبعة القديمة)

وهل فات الدكتور اللوذعي انه بحكمه الطائش على حجية المعجزات والآيات تأييدا لصدق الرسالة النبوية يطعن في الصميم من الاسلام الذي انبرى للدفاع عنه اذ يجرد القرآن من قوة الحجية ، والقرآن عند المسلمين هو المعجزة الكبرى بل الوحيدة التي يعتمدونها ، عبر الزمان والمكان ، لتأييد صدق نبيهم ؛ أو لم يطلع ، وقد ربي في احضان الشيخ والمسجد ، على احدى لوائح الكتب الموضوعة في « اعجاز القرآن » قديما وحديثا ، فيتأكد له ذلك ان علماء الاسلام في كل زمان ومكان على رأي يناقض

رأيه في حجية المعجز .

واذا وافقنا الدكتور نظمي على رأيه فأي قيمة تبقى للمعجزات التي يسندها القرآن والحديث الى محمد ؟ ! ..

ولا يخفى على أحد الا على نظمي لوقا ان المعجزات التي اذعن لسطوتها كل من شهدها عيانا يذعن لسطوتها الناس المخلصون للحق والحقيقة أبدَ الدهر لانها دخلت في صلب التاريخ وبات لها من القوة ما لكل حقيقة تاريخية .

فما قول الدكتور نظمي والحالة هذه في المعجزات وحجيتها ؟ أويظل على اصراره منكراً لها وقائلا بعدم حجيتها أم يتوب ويعترف بضرورتها ؟

ونحن لا ننتظر من الدكتور نظمي رجوعا الى الحق بعد ان باع الحق بالباطل على المكشوف ، فهو صنو لمن قال : « عنزة ولو طارت ! »

لذلك نرى واجبا علينا ان نسحب عن ظهره ما خلعه عليه البعض من صفات المناطقة والمنطق فيقف عريانا بكل حقيقته ، مهرجا ، هازئا بعقول اهل الجهل والسذاجة من قراء كتابه . ويغنيني عن وصف حقيقته أن أضع امام القراء الدليل الملموس واترك لهم الحكم على هذا المستهتر .

مقياسان متناقضان لحقيقة واحدة!

المقيــاس الاول

كتب الحصيف اللبق نظمي في الصفحة ٤٩ قـال : « الآية الكبرى التي لا يثبت بغيرها صدق ولا يغني عن غيابها الف دليل مغاير ، مهما بلغت درجته من الاعجاز ، هي صدق الكلمة من حيث هي ؛ فان الحقيقة آية نفسها تحمل برهانها في مضمونها فيطمئن اليها العقل ويبدو ما يباينها هزيلا واضح البطلان » .

المقيــاس الثاني

وكتب نظمي الذاكر الناسي في الصفحة ١٥٧ قال : « ان أول مقياس يقاس به صدق صاحب الرسالة هو مبلغ ايمانه بها »

●

ففي المقياس الاول جعل صدق رسالة الرسول متضمنا في ذات الرسالة ، والرسالة هي التي تحمل برهانها في مضمونها ، وهي هي وحدها آية نفسها .

وفي المقياس الثاني ، جعل صدق الرسالة قائماً ومحمولا ومتضمناً في ذات الرسول وهو ايمان الرسول برسالته ! وشتان بين ان يكون صدق الرسالة متضمنا في ذاتها وان يكون متضمنا في ايمان الرسول الذي يحملها !

في المقياس الاول يجعل الرسالة قادرة على اثبات صدقها بدون حضور الرسول لانها ليست بحاجة الى دليل خارجي اذ تحمل دليل صدقها في مضمونها ، وان كل الاجيال تدرك صدقها في غياب الرسول وغياب المعجزات .

وفي المقياس الثاني يجعل الرسالة عاجزة عن اثبات صدقها الا اذا كان الرسول الذي يحملها ماثلا امام الناس ليروا مقدار ايمانه برسالته !

في المقياس الاول قطع خط الرجعة على المقياس الثاني اذ قال : الآية الكبرى التي لا يثبت بغيرها صدق ولا يغني عن غيابها الف دليل مغاير ، مهما بلغت درجته من الاعجاز ، وفي المقياس الثاني يقول : ان اول مقياس يقاس به صدق صاحب الرسالة هو مبلغ ايمانه بها !

وكلا المقياسين باطل

. بطلان المقياس الاول

لما كان السخف بالسخف يعالج على حد القول : «وداوني

بالتي كانت هي الـداء » ، او بعبارة كتابيـة : « جاوب الجاهل بحسب حماقته لئلا يكون حكيما في عيني نفسه »

فنحن نتساخف بسخافة نظير سخافته هذه فنقول :

هب يا دكتور نظمي أن اتباع محمد علي ميرزا ، زعيم البهائيين ، بلغ اليهم كتابك وما يحمل من مبادىء هدامة للاديان جميعهـا ، وسارعوا بالمجيء الى بلادنا وقصدوك أنت بالذات وعرضوا عليك رسالة نبيهم او « بابهم » او « قائمهم » محمد علي ميرزا ، وطلبوا اليك ان تؤمن برسالته ، ورحت انت تطلب منهم الدليل على صدق رسالة ميرزا الشيرازي ، فأجابوك بما جئت يداك وخطته انامك وقالوا بمثل ما قلت : ان رسالة النبي ميرزا تحمل صدقها في مضمونها وهي ليست بحاجة الى دليل خارجي ! فماذا يكون موقفك ؟ فهل تقبل منهم هذا الدليل وتعتنق دين البهائيين او ترفضه وتصمم على طلب المعجزة التي تثبت نبوته ؟ !

وسخافة ثانية من مثل سخافتك : هب يـا دكتور انه طلب منك عندما طلبت ترقيتك من مدرس ثانوي الى مدرس في الكلية ، ان تقدم ما يثبت مؤهلاتك وشهادة ميلادك وشهادة حسن السير والسلوك وخلوك من السوابق ، ورحت تقول قولتك الخائبة : ان طلبي للترقية الذي قدمته يحمل فـي ذاته آية صدقي ولست بحاجة الى دليل خارجي ! فهل ، تراك ، لو كانت الظروف والملابسات غيرها الان ، هل ، تراك كان يقبل منك هذا الدليل ويستغنى عن المطلوب ؟ !

وسخافة ثالثة على وزن سخافتك : هب يا دكتور نظمي انه تقدم عريس يطلب القرب منك بابنتك او أختك ، وقال انه يحمل مؤهلات علمية ويملك عقارات واموالا في المصارف ، ورحت انت زي الناس تطلب منه ما يثبت "مدعاه" ، وكان هو ممن طالعوا اكتابك ووقفوا على مبادئك هذه وأراد ان يمسكك بكلامك ، فقال لك : ان كلامي يحمل آية صدقه وانا لست بحاجة الى دليل خارجي ! فهل يقنعك هذا الدليل وتسلم ابنتك او أختك او تطالبه بان يقدم الدليل المادي ؟ !

وسخف رباعي ايضا : هب يا نظمي انك رفعت دعوى امام المحاكم تطالب شخصا بشيء معين ، فطلبت منك المحكمة مستندك الذي يثبت هذا الحق ، فرحت تقول قولتك الخائبة : ان صدق دعواي متضمن في عريضة الدعوى وهي تحمل برهان صدقها وليست بحاجة الى دليل خارجي ! أفتحكم المحكمة لك بطلباتك ام ترشقك بنظرة الساخر الرائي وتحكم برفض دعواك ؟

اسمع يا دكتور ان كانت لـك بعد بقية من الميل لسماع الحق : لو كان لكلامك شبه المعقولية لكان من باب اولى قد عمل به عند جمع القرآن يوم قال ابو بكر لعمر ولزيد : اقعدا على باب المسجد فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه ، وكان زيد لا يكتب آية الا بشاهدي عدل ، وان آخر سورة براءة لم توجد الا مع أبي جزيمة بن ثابت فقال اكتبوها فان الرسول جعل شهادته بشهادة رجلين ، فكتبت ، وان عمر أتى بآية الرجم

فلم تكتب لانه كان وحده .

فلو كنت أحد الذين تقدموا الى عمر وزيد بآية قرآنية مثل الذين تقدموا ، وطلب منك شاهدان فرحت تقول لهم قولتك الخائبة : انها تحمل برهان صدقها في مضمونها ! فهل كانا يقبلان منك هذا القول وقد رفضا آية تقدم بها من هو اكرم منك ؟

وهب اننا سلمنا جدلا بنظريتك هـذه : أن الحقيقة تحمل برهانها في ذاتها ! وان الاديان والعقائد ، كما تقول ، ليست لطبقة معينة من البشر ، بل تصلح للكافة ، العامة منهم والخاصة ، وبطمئن اليها العقل

فالعرب كانوا ، يـوم نزل القرآن ، مـن السواد الذين لم ينضجوا ولم يستطيعوا الارتفاع الى المستوى الروحي العالي الذي هو مضمون دعوة السيد المسيح كما تقول فكيف استطاعوا بحث القرآن والوقوف على صدقه ؟ وكيف اطمأنت عقولهم اليه واقتنعت به ؟ ! وهل كانت لهم الفرصة ان يبحثوا وناقشوا العقائد الغيبية كما تقول ؟ وكيف بحثوا القصص الواردة في القرآن عن الخلق فـي الستة الايـام وخلق آدم من طين وحواء من ضلع آدم ، وهذه الاشياء قـد خلقت قبل ان يخلق الانسان وعقل الانسان ؟ وأي مؤتمر انعقد في الجزيرة العربية لبحث هذه الامور الغيبية وحققها فارتاحت لها عقول العرب ؟ !

اويجهل الدكتور ان اكابـر الفلاسفة قد عجزوا عن ادراك هذه الحقائق بعقولهم ؟ فسقراط ابو الفلاسفة يقول لاصحابه

عند موته : « اني منطلق الى أناس صالحين ولكني لست أريد ان آخذ على عاتقي تثبيت هذا الامر »

وشيشرون لما تكلم عن تباين الآراء حول طبيعة النفس قال : « اظن اني مقتنع ، بيد اني حالما اترك الكتاب وابدأ بالتفكير في الامر يتلاشى اقتناعي » .

وهذا ما جعل سينكا الفيلسوف يقول : « ان الخلود شيء مشتهى جدا ولكنه يقوم على الوعد اكثر من قيامه على الدليل »

فاذا كانت عقول الفلاسفة قد عجزت عن ادراك هذه الحقائق التي اعلنها الوحي الالهي فكيف يستطيع عرب الجاهلية ان يبحثوا هذه الغيبات مع ما كانوا عليه من تأخر بعيد الاغوار في ميادين الحضارة والعلم والمدنية ؟

فكان لا بد اذن للنبي او الرسول من ان يؤيد بالمعجزات الدالة على انه رسول من الله الى الناس كما اوضحنا ذلك ، ولا سيما اذا كانت رسالة الرسول اعلانا جديدا يدعو الناس الى تغيير أديانهم التي قامت على المعجزات .

ولما كانت ديانة موسى قد تأسست بالمعجزات كما ذكرنا سابقا ، كان على ديانة المسيح التي عقبتها وهي امتداد لها ومفسرة لمعانيها المستترة في طقوسها ومراسيمها ، ان تأتي هي ايضا بالمعجزات بل بمعجزات اكثر واقوى واعظم من معجزات موسى والانبياء فتستطيع بها ان تحرك اليهود وتزحزحهم عما تجمدوا فيه

من طقوس وفرائض جسدية كانت موضوعة الى وقت الاصلاح (عب ٩ : ١٠) .

وهكذا يلزم من يأتي بعد المسيح ويدعو اتباع المسيح الى التخلي عن دينهم المؤيَّد بالمعجزات الكثيرة والفائقة ، ان يكون هو ايضا مؤيدا بمعجزات على الاقل كالتي صنعها المسيح ان لم نقل اكثر واقوى واعظم منها حتى يستطيع ان يزحزحهم عن دينهم وانجيلهم !

واذا كان عرب الجاهلية قد طالبوا محمدا ان يأتيهم بآية مثل ما أوتي الرسل والانبياء السابقون أفلا يكون المسيحيون أولى منهم واحق بان يطالبوا محمدا بالدليل المعجزي الحسي على صدق رسالته ؟ !

ونضيف الى ذلك كله هذا الاعتبار الاخير : لو كانت آية الوحي هي صدق ما أتى به اذ الحقيقة آية نفسها تحمل برهانها في مضمونها ، فماذا يمنع اذ ذاك ان يكون كل كلام صادق حقيقة منزلة ووحيا فيكون من ثم ان اكثر مؤلفات الكتاب وحيا وتنزيل ! !

بطلان المقياس الثاني

قال الدكتور نظمي في الصفحة ١٥٧ « ان أول مقياس يقاس به صدق صاحب رسالة هو مبلغ ايمانه بها »

ولما كان هذا المقياس اكثر سخافة من المقياس الاول كان لا بد لنا أن نعالج هذا السخف ايضا بسخف مماثل ، فنقول :

هب يا دكتور ان اعترض طريقك أحد المارة وقال لك : انا نبي مرسل من الله وأدعـوك لتغيير دينك واتبـاع ديني الجديد الذي يتضمن كيت وكيت • فطلبت منه الدليل على صدق نبوته او رسالته فأجابك بقولتك الخائبة : « ان صدق رسالتي هو مبلغ ايماني بها » وانا اؤمن اني رسول ورسالتي حق ! فهل تقبل منه هذا الدليل وتؤمن به وتذهب وراءه وتتلمذ له وتتعبد بعبادته ؟ ام ترفضه ؟... والا فما يمنع بعض دعاة الشيوعية ان يكونوا رسلا وانبياء ما داموا يؤمنون بها ويبذلون في سبيل الدعايـة لها حتى الحياة نفسها ؟.

فهلا تراجع قياسك بعد ان قسناه لك بسخافة من نوعه وتقول لنفسك : « كان فين عقلك يا نظمي لما وقعت في هذا السخف » ؟ !

اسمع يا نظمي ! لولا تعجلك او بالحري تطفلك لكنت قبل ان تكتب هذا المقياس الخائب تسأل أئمة المسلمين هل يرضون به او لا يرضون ؟ لان أئمة المسلمين يعلمون بما جـاء في الكتاب والسنّة من ان محمدا شك في رسالته ، في اولها وفي وسطها وفي آخرها

وهذا ما جاء في القرآن في سورة يونس : « فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك » ؛

وفي سورة الاعراف : « كتاب انزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه » .

وجاء في حديث البخاري (الجزء ٨ ص ٧٣) قول محمد : « نحن اولى بالشك من ابراهيم » ، وفي الجزء الرابع (ص ١٣٧) قوله : « وفتر الوحي فترة حتى حزن النبي (صلعم) فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال : يا محمد انك رسول حقاً ، فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه فيرجع . فاذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك » . وقد كتبت ، يا دكتور نظمي ، في كتابك في (ص ١٧٥) تتمة هذا الحدث فقلت : « وما ان يظهر جبريل اخيرا حتى يعاتبه محمد لاحتباسه عنه ، ويصارحه انه ساء ظنا لذلك الاحتباس » .

وجاء في حديث البخاري (الجزء الاول ص ٢٣ ، والجزء الثالث ص ٦٢ ، والجزء الرابع ص ٥ و ١٣٩) ان محمدا حين دنت منيته قال :

« ائتوني بكتاب اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ! قال عمر : ان النبي (صلعم) غلبه الوجع ، وعندنا كتاب الله حسبنا . فاختلفوا وكثر خط فقال : قوموا عني لا ينبغي عندي التنازع . فخرج ابن عباس يقول : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه » .

وهذه كلها اعترافات صريحة بشك محمد من رسالته والشك ضد الايمان •

اذن مقياسك فاسد وباطل ! والمبني على الفاسد فاسد !

●

وكتب الامام الجديد نظمي لوقا في الصفحة ٥٠ يقول :

« فمن اعترف بوحي من السماء الى رسول من البشر لزمته الحجة ألا ينكر نزول الوحي على محمد من حيث المبدأ ، فوجه الامتناع هنا غير قائم بمبرر نزيه » •

لقد بنى نظمي لوقا سخافته هذه على الاساس الرملي القائل ان « لا حجية للمعجزات » • « وما من نبي حمل الينا توكيلا موثقا بانه ينطق بلسان الوحي » • « لم يُطلب مـن رسول قبل محمد برهانا عيانيا على وحيه كي يطالب به محمد » •

ولما كنا قد أثبتنا ، من قبل ، بأقطع الادلة والبراهين ان الناس في كل زمان طالبوا الانبيـاء بتقديم الدليل المعجزي على صدق رسالتهم ، وان الانبياء قدموا هذا الدليل الموثق على انهم مرسلون من عند الله تعالى بما صنعوا من معجزات •

ولما كان الناس لم يقبلوا قط نبيا ولا اعترفوا قط بوحي من السماء بدون ان يُقدم لهم الدليل المعجزي ، كان من ثم ما بنـاه « نظمي لوقا » ساقطا منهارا ، لان وجه الامتناع قائم بمبرر نزيه ،

وقد أقر نظمي لوقا : « بان موقف الناس من الوحي واحد ايا كانت الرسالة الموحى بها والرسول المخبر عنها » فأذن ، وبكرر القول مرة اخرى ، كان موقف المسيحيين هو موقف الناس طرا ، ولا يزالون يطالبون كل من يدعي رسالة بعد المسيح بان يقدم مستنده وهو المعجزة ، وارجو من القارىء الكريم مراجعة الصفحات السابقة ليرى ما اثبتنا فيها من ضرورة المعجزات .

•

الاديان كالسلع

كتب الدكتور نظمي في الصفحة ٥١ يقول :

« ان السلعة الاصلية هي التي تؤدي للناس ما لا تؤديه سلعة أخرى وان كانت تشبهها في بعض الوجوه وليست تقليدا او تزييفا لسلعة سابقة عليها بحيث يكون غيابها نقصا واضحا لا محل فيه للانكار

« عرف الناس السفينة ذات المجذاف ، وعرفوا السفينة ذات الشراع ، ثم عرفوا السفينة التي تسير بالبخار وكلها سفن ، ولكن الخلاف بينها واضح فيما تؤديه للناس من خدمات . كذلك العقائد ، والاديان كلها عقائد غيبية ، تحدد صلة الانسان برب هذا الكون ولكنها تتباين بوجه من الوجوه ... وهذا تعليل توالي الديانات والرسالات السماوية مع اطوار البشر ومستويات ادراكهم ووعيهم العمراني .

« لزم اذن ان يكون هذا الطابع المميز هو سبب وجودها او موضوع وجودها .

« فهل للاسلام هذا السبب ؟ وهذا الموضوع ؟ وبعبارة

اخرى ، ان الوظيفة تخلق العضو والحاجة تخلق السلعـة ، فان تحدد ، بعد الاديان السموية السابقة للاسلام ، موضوع معين او دور معين لعقيدة سماوية تحددها احتياجات التطور البشري لثبت ان ظهور ديانة جديدة لم يكن تعسفا او فضولا او اصطناعا لجأ اليه مغامر أفاق

« ثم يلزم النظر في الاسلام وهل جـاء مؤديا لتلك المهمة او الرسالة ، فان صح ذلك ، كان عقيدة صحيحة جاءت في ميقاتها الطبيعي لتقوم بدورها او وظيفتهـا المهيأة لها باطـوار العمران البشري » •

« ان كل من آمن بالاديان ورسالتها وبالعقائد ووظائفها لا حيلة له في اتخاذ هذا المقياس الموضوعي الذي يعدل في النظر الى العقائد بعامة ، والا يكـون محض وارث لعقيـدة متعصب لها عصبية عميـاء •

« وما على المنكر الا أن يبين لنـا مقياسا آخـر نعرف به وظائف العقائد ، ويفسر لنا تواترها وتعاقبها على مرور الاجيال قبل دعوة محمد » •

هذا ما كتبه الامام الجديد والمتشرع الخطير الدكتور نظمي لوقا ، حيث شبه العقائد والاديان بالسلع !

وهو بهذا التشبيه قد كشف عن ناحية أخرى من اسباب تهجمه وطعنه في دينه المسيحي غير ما ذكر من تسليم ابويه ايـاه

الى شيخ جامع السويس منذ نعومة اظفاره ، وقساوة جدته على أمه التي عادت من عندها مهيضة الجناح مضعضعة • فقد كشف بهذا التشبيه عن اعتباره للاديــان والعقائد أنهـا كالسلع تباع وتشترى ، وانها قابلة للمساومة ، والعرض والطلب وزيادة الربح وانتهاز الفرص والظروف الملائمة ، وتطبيق قواعد « اللي تغلب به العب به ! » • وإياك ، ايها القارىء ، أن تقول في نظمي انه قــد كتب هذا التشبيه عن غير وعي منه ؛ لا ، وكلا ! فهو يكتب على المكشوف ويريك ان هذا مبلغ الديانة والعقيدة عنده ، وانه على استعداد للمساومة على دفــاع آخــر يقدمه لاي دين يطلب منه الدفاع عنه او الطعن فيه ، على شرط ان يفهم من يساومه ان الدين كالسلعة تباع وتشترى ! !

التشبيه الثلاثي

لقد ضرب الدكتور نظمي أمثلة ثلاثة للسلــع : المركب او السفينة ذات المجذاف ، والسفينة ذات الشراع ، والسفينة ذات المحرك البخاري •

ولما كانت هذه السفن الثلاث مثالا للاديان فتكون السفينة ذات المجذاف هــي كناية عن الديـانة اليهودية ، والسفينة ذات الشراع تمثل الديانة المسيحية ، والسفينة ذات البخار تشير الى الديانة الاسلامية • هذه الاديان التي يقول عنها نظمي : قد جاءت

متتابعة بحسب تطورات البشر وارتقاء مستوى وعيهم العمراني •

وبما انه ، من وقت مجيء محمد بدياناته الاسلامية المشبهة بالسفينة التي تسير بالبخار ، الى يومنا هذا قد تطور العالم عدة تطورات وارتقى وعي الناس ومستواهم العمراني بما لا تقاس به تطورات العالم السابقة ، تلك التطورات التي استلزمت ان يعرف الناس السيارة (الاتوموبيل) فالطائرات فالغواصات البخارية والذرية ، فالصاروخ والراديو والتلفزيون والعقل الآلي المترجم والمحاسب ، هذه الاختراعات التي غيرت وستغير كل احوال الناس وتفكيرهم واتجاهاتهم ومعيشتهم

وبما ان الدكتور نظمي قرر ان الديانات والرسالات السماوية تتوالى مع تطورات البشر ومستويات ادراكهم ووعيهم العمراني

بناء عليه يكون العالم الآن مهيأ لظهور عدة ديانات أخرى لتتابع التطورات العجيبة وارتقاء المستوى العمراني للبشر •

وبما انه قد ظهر في القرن التاسع عشر من ادعى بما هو اكثر من النبوة ، وهو محمد علي ميرزا الشيرازي ، الذي دعـا نفسه « بابا وقائما » ؛ واتباعه الى هذا اليوم يدعون « بالبهائيين » ؛ وقد ظهر في ميقاته الطبيعي على حد قول « نظمي » اذ ظهر في وقت تطورات عالمية ، وانطبقت عليه كل الشروط والمبادىء التي وضعها « الامام » نظمي ؛ وله تصانيف شعرية موزونة ذات سمو وجمال ، كما كتب عنه أحد تلاميذه قال :

« عندما تأملت الآيات والبراهين الواضحة الموضوعة امامي لم أر طريقا ممكنا لرفضها او انكارها ، لان الرب الرحيم قال بوضوح في القرآن : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل القرآن لا يأتون بمثله » ، وخلال الالف والمائتين والستين سنة التي انقضت من ذلك الوقت ، ما من احد ، مهما كان قد برع في البلاغة والفصاحة ، اجترأ ان يحاول هذه المحاولة ... ومع ذلك فقد بقيت مغمورا بدهشة وعجب كيف أمكن ان مثل هذه الآيات تنهمر كالمطر الفياض على هذا الشاب البسيط غير المتعلم ؟ صحت في قلبي : يا الهي ، في مواجهة براهين كافية كهذه كيف يكون الانكار ممكنا مستطاعا ؟ ! ومع ذلك فكيف أستطيع ان اعترف واقبل هذا الشاب التاجر غير المثقف ! كيف اعترف به « بابا » و « قائما » ! اذا قام واحد قادر ان يجتاز الامتحان الذي اجتازه القرآن فلماذا لا يقبل من اولئك الذين قبلوا ذلك الكتاب كمعجزة » .

هذا ما كتبه تلميذ زعيم البهائيين .

فماذا تقول ، يا دكتور نظمي ، عن محمد علي ميرزا الشيرازي ورسالته التي انطقت عليها كل مبادئك الفاسدة التي قررتها ؟ هل تعتبره نبيا جاء في ميقاته الطبيعي متمشيا مع تطورات الناس ومستواهم العمراني ؟ !

ولنسلم جدلا بنظرياتك الفاسدة بأن الشرائع والاديان السموية تلاحق التقدم البشري والوعي العمراني ! فنسألك هل

كان عرب الجاهلية وقت مجيء محمد قد تطوروا وبلغوا درجة من الرقي بمكان ، وتساموا فوق مستوى اصحاب الانجيل بحيث لم تعد شريعة المسيح قادرة على ان تلاحق تطورهم وارتقاءهم ، وغير مناسبة لمستوى ادراكهم ووعيهم العمراني ، حتى احتاج الامر الى ديانة جديدة تتفق مع تطورهم ، وتلاحق مستواهم العمراني العالي ؟ ! ألم يكونوا ، على العكس من ذلك ، على حياة الفطرة والبداوة ، لا يعرفون من وسائل النقل لا سفينة المجداف ، ولا سفينة الشراع ، ولا سفينة البخار ، بل كانت سفنهم التي تمخر عباب الصحراء هي الجمال ، والجمال فقط ، واقدام سوادهم الاعظم تتلاطم مع امواج الرمال والحصباء ؟ !

أما كانوا هم الذين عنيتهم بقولك في الصفحة ٦٦ :

« ولكن البشرية لم تنضج لهذا الدور نضوجا واحدا متساوقا ، لان عقيدة القلب الخالص من كل علائق المادة هي بطبعها عقيدة الافراد الافذاذ ، اما السواد من الناس فللحس على قلوبهم ابدا سلطان غير مجحود ولا مردود ، لهذا بقيت المسيحية في حقيقتها دين قلة من الافراد ميسرين لها .. ولهذا لم يستطع السواد الارتفاع الى المستوى الروحي العالي الذي هو مضمون دعوة السيد المسيح » .

وبهذا الاعتراف اعترفت ايضا بأن العرب الذين كانوا في ظلمة الجاهلية لم ينضجوا كما نضج المسيحيون بحرارة شمس البر يسوع المسيح ونور انجيله .

وباعترافك هذا دللت على ان العرب لم يكونوا بحاجة الى دين جديد ، لان الدين الجديد ، كما قررت في كتابك ، يلاحق التقدم والرقي العمراني والمستوى العالي .

اذن كان العرب ، وهذه حالهم ، بحاجة الى ان يعتنقوا المسيحية ويعيشوا في حرارتها ونورها حتى ينضجوا كما نضج المسيحيون الذين بلغوا من الرقي والمدنية والاكتشاف والاختراع مبلغا اصبحوا معه قادة العالم في كل انواع التمدن والرقي والتسامي كما شهدت لهم بذلك .

اما القول بأن العرب الذين كانوا متخلفين عن ركب المدنية والحضارة وغير ناضجين ، كانوا بحاجة الى دين يراعي فطرتهم السوية ، كما تقول في الصفحة ١٠٩ ، فهذا اتهام منك للديانة الاسلامية لا يرضاه عامة المسلمين قبل علمائهم ، لان هذا معناه ان العرب كانوا بحاجة الى دين يرجع بهم الى ما وراء المسيحية واليهودية ! لان التطور ، يا حصيف ، معناه التقدم الى الامام لا الرجوع الى الوراء، وعمك دروين صاحب مذهب النشوء والارتقاء يقول ان اصل الانسان قرد فتطور القرد الى انسان ! هذه سنة التطور يا فيلسوف آخر الزمان ، اما تطورك فمعكوس !

وانا على يقين لو عرضت مؤلفك هذا قبل الطبع على ائمة المسلمين لمزقوه تمزيقا وصفعوك به صفعا لانك تطوعت او بالحري تنطعت للدفاع عن دينهم فكنت له العدو اللدود ترميه بما لا نرضاه نحن المسيحيين لمواطنينا الذين نحبهم ونحترمهم .

لا تعاقب في الاديان السماوية !

اذا كان الدين لله ، وكما تقول أنت ، يا دكتور نظمي ، في الصفحة ٥١ : « كذلك العقائد والاديان • كلها عقائد غيبية تحدد صلة الانسان برب هذا الكون » •

ومعلوم ان الذي يحدد هذه الصلة هو الله بما يوحي من شرائع يظهر فيها ارادته تعالى •

وارادته تعالى ، بصفته قدوسا ورحيما ، ان نكون مثله تعالى في القداسة كما يقول بولس الرسول : « لان هذه ارادة الله ان تقدسوا انفسكم » (١ تس ٤ : ٣) : وقول السيد المسيح « كونوا رحماء كما ان اباكم رحيم » (لو ٦ : ٣٦) •

والقداسة والصلاح الادبي هو صلاح في ذاته لا بسبب ما يؤدي اليه ، ولا بسبب موافقته للعقل • وان كل ناموس مبني على ارادة الله هو عبارة عن مطاليب طبيعته تعالى • وطبيعته تعالى غير قابلة للتغير لانه تعالى «ليس عنده تغير ولا ظل دوران» (يع ١ : ١٧)

وقد أعلن الله شريعته في الطبيعة المادية وفي بنية الانسان العقلية والادبية ، مكتوبة في نسيج كياننا وخلايانا واعصابنا

ومجرى دمنا وحياتنا ، وهي الطريقة التي خلقنا لنعيش بها • وكما يصمم المهندس في داخل الآلة الميكانيكية طريقة عملها لكي تسير وتحفظ من العطب والتلف ، هكذا اقتضت حكمة الله ان يطبع نواميسه داخل كياننا كما طبعه في كيان جميع المخلوقات • وهذا عين ما قرره الرب يسوع بقوله : « ملكوت الله في داخلكم » •

وهذا ما عبر عنه الوحي الالهي في سفر التكوين بقوله : « وعمل الله الانسان على صورته » ، وبولس الرسول بقوله : « ان الامم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو من الناموس فهؤلاء ، اذ ليس لهم الناموس ، هم ناموس لانفسهم ، يظهرون عمل الناموس مكتوبا في قلوبهم ، وضميرهم يشهد وافكارهم ايضا مشتكية ومحتجة » (رو ٢ : ١٤ و١٥) •

وذلك لان النواميس الطبيعية التي وضعها الخالق لا تزال الى هذا اليوم تجري مجراها في العالم الطبيعي بدون أن تتغير ، وتسلك بموجبها جميع الخلائق من يوم خلقها الى ان تنتهي العوالم جميعها كما سلك بموجبها الانسان الاول قبل السقوط في الخطيئة ، قبل ان يتدخل ابليس الخبيث ويغوي الابوين الاولين ويزلهما عن هذا الناموس •

ولما تكاثفت الخطيئة وازداد الاثم وابتعد الانسان شيئا فشيئا عن الله ، واظلم قلبه وكاد ينطفىء نور العقل حتى أصبح الناموس الطبيعي فاقد الشكيمة ، اقتضت مراحم الله ان يكشف

للانسان هذا الناموس الذي كان مكتوبا على قلبه الذي اظلمته الخطيئة وجعلت «تصور افكار قلبه شريرا كل يوم» (تك ٦ : ٥)، فنزل سبحانه وتعالى على الجبل متجليا لموسى النبي والشعب الاسرائيلي، وأعطاه الناموس الادبي مكتوبا على لوحين من الحجر ليكون بمثابة الساعة الدقيقة الصنع لكي "تضبط عليها الساعات الاخرى .

وهذا هو الناموس الادبي الذي أعطاه الله لموسى :

(١) انا الرب الهك لا يكن لك آلهة اخرى امامي .

(٢) لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق ولا مما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض؛ لا تسجد لهن ولا تعبدهن لاني انا الرب الهك ، اله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الابناء في الجيل الثالث والرابع مـن مبغضي ، واصنع احسانا الى الوف من محبي وحافظي وصاياي .

(٣) لا تنطق باسم الرب الهك باطلا لان الرب لا يبرىء من ينطق باسمه باطلا .

(٤) اذكر يوم السبت لتقدسه (والسبت معناه الراحة) .

(٥) اكرم اباك وأمك لكي يطول عمرك على الارض .

(٦) لا تقتل؛ (٧) لا تزن ؛ (٨) لا تسرق ؛ (٩) لا تشهد على قريبك شهادة زور ؛ (١٠) لا تشته بيت قريبك ، لا تشته امرأة

قريبك ولا عبده ولا امته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك

هذا هو الناموس الالهي وهذه هي الشريعة الاولى التي كتبت بيد الله وأعطيت لموسى على الجبل ! هذه هي حدود الله التي تربط الانسان بخالقه .

فأي من هذا الناموس وهذه الوصايا وهذه الشريعة الالهية قابل للتغير والتبديل او النسخ ؟ وأي منهـا يصلح لوقت دون وقت ؟ ! وأي منها يتغير بتغير الانسان حال ارتقائه او انحطاطه ؟ اما كل مادة من هذا الناموس لازمة وثابتة ثبوت نواميس الطبيعة التي لا تتغير بتغير الانسان ؟ فالانسان يتغير ونواميس الطبيعة ثابتة لا تتغير !

وها هي ذي امـام الدكتور نظمـي كتب الاديـان الثلاثة فليطالعها وليرنا المصدر الذي استقى منه بدعة تعاقب الاديان :

فالقرآن يقرر عكس ما يدعي الدكتـور نظمي اذ يقول في سورة البقرة : « تلك حدود الله فلا تقربوها ••• ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون » ؛ وفي سورة المجادلة : « ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله» ؛ وفي سورة يونس : « لا تبديل لكلمات الله » ؛ وفي سورة الاحزاب : « ولـن تجد لسنّة الله تبديلا » .

وفي التوراة يقول الله تعالى : « لا أغير ما خرج من شفتي » (مز ٨٩ : ٣٤) ؛ وفي سفر صمويل الاول (٣ : ١٩) يقول عن

الله انه « لم يدع شيئا من جميع كلامه يسقط الى الارض » .

وفي الانجيل قال السيـد المسيح : « لا تظنوا اني جئت لانقض بل لاكمل : فاني الحق اقول لكم : الى ان تزول السماء والارض لا يزول حرف واحد او نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » (متى ٥ : ١٧ و ١٨) . وقال ايضا له المجد « ولا يمكن ان ينقض المكتوب » (يو ١٠ : ٣٥)

ولما سأله واحد قائلا: «ماذا اعمل لارث الحياة الابدية؟ قال له : ان اردت ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا ، قال : اية الوصايا؟ فقال يسوع : لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، اكرم اباك وامك ، واحب قريبك كنفسك » (متى ١٩ : ١٦ — ١٩) .

فالمسيحية لم تنقض ناموس موسى بل تأسست على ناموس موسى ، كما ان ديانة موسى قد أخذت مبدأها من ابرهيم يوم قطع الله العهد معه قائلا « بنسلك تتبارك جميع قبائل الارض » . وقال بولس عن هذا النسل : « واما المواعيد فقيلت في ابرهيم وفي نسله . لا يقول وفي الانسال كأنه عن كثيرين، بل كأنه عن واحد: وفي نسلك الذي هو المسيح » (غل ٣ : ١٦)

كما ان هذا الوعد او العهد مع ابرهيم مأخوذ مبدأه من عهد آدم الذي وعده به الله تعالى قائلا :

« ونسل المرأة يسحق رأس الحية »

ولما جاء محمد بعد المسيح بستماية سنة وعشر سنين ، واعلن

انه نبي في بلاد العرب قال انه جاء على الاسس التي وضعها ابراهيم وموسى والانبياء والسيد المسيح ، واعلن انه يقبل ويسلم بكتب التوراة والانجيل ككلمة الله ، واضعا اياها الى جانب القرآن ، كما كان يلجأ الى التوراة والانجيل باستمرار ليثبت انه مرسل من الله ؛ وفي مواضع كثيرة من القرآن يعترف بصحة التوراة والانجيل ، كما ان في القرآن اشارات عديدة الى تعاليم وشخصيات الكتاب المقدس ، وتكرارا كثيرا جدا لقصص التوراة والانجيل كمعلنة له من الله مباشرة .

وهاك بعض ما ورد في القرآن من الآيات الصريحة الدالة على ما نقول : فقد جاء في سورة الشورى قوله : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ؛ وفي سورة الانعام : « قل : انني هداني ربي الى سراط مستقيم دينا قيما ، ملة ابراهيم حنيفا » ؛

وجاء في حديث البخاري (الجزء الاول) قول محمد : بايعوني على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه

وهذه عينها من الوصايا العشر .

فمن هذا كله يتضح ان المسيحية ليست دينا نسخ دين موسى وانما هي امتداد له ولباب وتفسير وتحقيق ، وهي معناه الهاجع

المخبوء داخل قشرة الطقوس والمراسيم اليهودية كالجرثومة داخل الحبة او الطائر المستجن داخل قشرة البيضة التي خرج منها المسيح، نسل المرأة وساحق رأس الشيطان ، المسيح الخارج من سبط يهوذا ، وديانته التي هي الزهرة والتاج النباتي الذي انعقد ثمرا ناضجا في شجرة اليهودية ، وفي نضوجه اختفت الرموز والاظلال كما يختفي شكل الزهرة متى انعقدت ثمرا ؛ وعند ذلك تعلم الناس ان « ملكوت الله ليس اكلا ولا شربا بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس » (رو ١٤ : ١٧) .

وادرك العالم ان « اليهودي في الظاهر فقط ليس هو يهوديا ولا الختان الذي في الظاهر ، في اللحم ، ختانا ؛ بل اليهودي من كان كذلك في الخفاء » (ر و ٢ : ٢٨ و ٢٩) .

كما ان الخلاص بالايمان الذي تقول به المسيحية ليس هو تعليما جديدا يناقض اليهودية بل هو تعليم من عهد ابراهيم كما ورد في سفر التكوين (١٥ : ٦) : « فآمن ابراهيم بالرب فحسب لـه برا » .

ومرة ثانية نقول : المسيحيـة ليست ديانـة اعقبت الديانة اليهودية .

فان صح اطلاق كلمة تعاقب على ما يبدو من اشكال النمو من الشجرة الواحدة فيقال النبتة أعقبتها شجرة الساق، وشجرة الساق اعقبتها شجرة الفروع ، وشجرة الفروع اعقبتـها شجـرة

الورق ، وشجرة الورق اعقبتها شجرة الزهر ، وشجرة الزهر اعقبتها شجرة الثمر الناضج •

وان قلنا لا يصح هذا الاطلاق لان كل هذه الاشكال التي ظهرت على الشجرة كامنة في الشجرة الواحدة ، هكذا لا يصح اطلاق كلمة تعاقب اديان على ظهور المسيحية بعد اليهودية لان المسيحية امتداد لليهودية •

واذا صح القول ان نواميس الطبيعة المادية تتغير وتتبدل كلما تطور الانسان وترقى وصار في مستوى اعلى مما كان ، يصح ان يقال على الناموس الادبي الذي يحدد صلة الانسان برب هذا الكون ان يتغير ويتبدل حسب تطور الانسان وارتقاء مستواه العمراني •

انما الذي يحدث من التغيير يحدث في الانسان ، والتغيير الذي يحدث في الانسان فيطوره ويرقّي مستواه العمراني هو تكشف النواميس الطبيعية التي من يوم اكتشفها الانسان ووقف على بعضها واستخدمها كانت سببا في ارتقائه وتطوره كاكتشاف الكهرباء والتلفون والراديو والرادار والذرة والصاروخ وو•••• مما هو عتيد ان يتكشف •

فالتقدم العمراني لازم تكشّف النواميس الطبيعية لا النواميس الطبيعية تلاحق التقدم العمراني •

ومما تجب ملاحظته ان نواميس الطبيعة التي تكشفت

فارتقى البشر باكتشافها اخذت في التكشف والظهور بعد تجسد المسيح ابن الله الذي كان محجوباً عن العيون ، فلما ظهر الله في الجسد ظهرت معه اسرار الطبيعة كما تظهر حاشية الملك بظهور الملك لانها تتبعه .

فالذين آمنوا بتجسد الله وظهوره في الجسد هم الذين اكتشفوا اسرار الطبيعة واستخدموها وارتقوا بها الى اعلى مستوى الرقي ، وتخلف غيرهم عن ركب الحضارة لانهم لم ينضجوا كما يقول الدكتور نظمي .

دين البشر

تحت هذا العنوان كتب الدكتور نظمي في الصفحة ٦٩ يقول :

« لم يزل الناس بحاجة اذن الى عقيدة جديدة يجتمع اليها العقل والقلب جميعا ... ينبغي ان يتجه الدين الجديد الى الناس كافة ، لا فرق فيهم بين شعب وشعب ، ولا بين جيل وجيل ، ولا بين طبقة وطبقة » .

هذا ما يقوله الدكتور نظمي ! كأن المسيحية المنتشرة وقت مجيء محمد كانت ديانة بعيدة عن العقل، وكانت دين القلب فقط فاستلزم ان يأتي الدين الاسلامي ليجمع العقل والقلب معا !

ومعلوم ان القلب مركز الايمان ، فهو اذن يريد ان الناس قبلوا المسيحية بالايمان فقط دون ان يستعملوا العقل لبحثها وفهمها والحكم فيها ؛ فهي ، والحالة هذه ، تكون ديانة السذج الذين يمكن التأثير فيهم بسهولة .

ومعلوم ايضا للدكتور نظمي ان الديانة المسيحية لم تنشر لا بالاكراه لان الذين نشروها كانوا من الضعفاء المزدرين صيادي سمك ، ولا بالاغراء لانهم كانوا فقراء لا يملكون ما يغري الناس ،

ولا كانت تعاليمهم اباحية يجد الناس فيها اشباع الشهوات واباحة المحذورات بل بالعكس كانت تعاليمهم تنفر منها الطبيعة البشرية اذ تأمرهم بانكار الذات والتواضع وعدم الطمع ، وان يعطوا خدهم اليمين لمن يلطمهم على الشمال ! ولا كانوا فلاسفة حتى يلعبوا بالعقول بل كانوا جهّالا !

ولا بالتهديد لانهم ما كانوا يملكون سيفا ولا حربة . اذن بأية قوة انتشرت المسيحية في اقطار العالم واعتنقها العالم والجاهل، الغني والفقير ، القوي والضعيف ؟! أليس انتشارها يكون في ذاته معجزة المعجزات ! !

•

وهنا نتقدم بالسؤال الى الدكتور نظمي : هل كان للعرب افرادا وجماعات فرصة للبحث والجدل واستعمال العقل حتى بلغوا حد الاقتناع العقلي ؟ أم كان البرهان ، اصدق البرهان ، هو السيف والقتال الذي كتب على كل مسلم ــ كما ورد في سورة البقرة : « كتب عليكم القتال وهو كره لكم... وقاتلوا في سبيل الله » ، وفي سورة الانفال : « يا أيها النبي ، حرّض المؤمنين على القتال » : فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فان تابوا واقاموا الصلاة واتوا الزكاة ، فاخلوا سبيلهم » . وجاء في حديث البخاري (الجزء الاول) قال محمد : أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ؟ !

وتتقدم الى الدكتور بسؤال آخر :

هل كانت المسيحية دينا لشعب خاص ، او بلد خاص ، او لغة خاصة حتى كان العالم بحاجة الى ديانة غير ديانة المسيح ، كما تقول ، لكي تضم كل امم العالم وقارات الدنيا ؟ !

اسمع يا نظمي ما يقال في الامثلة العامة : « الكتاب يعرف من عنوانه » ! فعنوان الدين يعرف من اللغة التي ينشر بها • فاللغة التي جاء بها القرآن هي اللغة العربية فقط كما ورد في سورة يوسف : « انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » ؛ وفي سورة الرعد ايضا : « وكذلك انزلناه حكما عربيا » • فلو كان ، كما تقول ، دين البشر قاطبة لكان جاء على الاقل بأهم اللغات الشائعة ، أو كان قد ترجم الى اللغات الاخرى او بعضها حتى يستطيع اهل العالم ان يفهموه ويعقلوه ويعتنقوه ؛ بل وهناك مانع آخر غير مانع اللغة وهو انه لا يسمح لغير المسلم ان يمس القرآن لان « لا يمسه الا المطهرون » •

اما المسيحية فقد بشر بها رسل المسيح بعد ان حل عليهم الروح القدس ، بعد صعود المسيح بعشرة ايام في يوم الخمسين وخاطبوا الذين جاءوا الى اورشليم من اقطار المسكونة من اليهود الذين اندهشوا عندما سمعوا اولئك الرسل الجليليين يتكلمون بلغات البلاد التي كانوا متغربين فيها (انظر سفر الاعمال ص ٢ : ١ — ١٣)

وبعدما حل الروح القدس عليهم وعلمهم لغات العالم ذهبوا وبشروا حسب امر المسيح الذي قال لهم : « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلموهم جميع ما اوصيتكم به » (متى ٢٨ : ١٩ و ٢٠) .

واسمع يا دكتور نظمي ما يلجم لسانك ويكسر قلمك : ان في العالم حوالي الفي مليون نسمة ويزيد ، وعدد المسلمين فيه ٢٦٥ مليونا ويزيد ، وعدد المسيحيين ٨٠٠ مليون ، وما يزيد على الف مليون لا يزالون على الفطرة وبعضهم يعتنق مبادىء عقلية وفلسفية او عبادات كفرية او صنمية .

وها قد مضى على الاسلام ١٣٧٩ سنة ولم يمتد الاسلام الا الى جزء من ثمانية من العالم بينما بلغت المسيحية رغم مبادئها التي لسموها تنفر منها الطبيعة البشرية التي لم تنضج بلغت ما يقرب من نصف البشر وآخذة في الامتداد بواسطة المبشرين المنتشرين في كل اقطار العالم يبشرون بلغات البشر جميعا ويقدمون لهم الانجيل بجميع اللغات .

فهل تتبجح يا نظمي بعد هذا وتقول ان العالم كان بحاجة الى دين تتجه الى الناس كافة ويكون دين البشر لا فرق فيهم بين شعب وشعب ولا بين طبقة وطبقة ! !

الله

كتب الدكتور نظمي تحت هذا العنوان في الصفحة ٧٣ ، يقول : « ان نزول القرآن كان ليصحح عقائد اهل الكتاب » .

ونحن نسأله : أيّ العقائد جاء القرآن ليصححها لهم ؟ هل عقيدتهم في كتابهم ؟ أم عقيدة خرجوا بها عن حكم كتابهم ؟ فان قال عقيدتهم في كتابهم يكون قد طعن في ذات القرآن لان القرآن جاء مصدقا لكتب اليهود والنصارى ومهيمنا عليها ، وامر محمدا ان يسأل اهل الكتاب ليزيلوا الشك من قلبه ، من جهة ما انزل اليه ، كما يقول ايضا محرضا ومهددا : « قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم » (المائدة) ، فلو ان كتب اليهود والنصارى محرفة ومبدلة فكيف ينزل القرآن مصدقا على كتب محرفة ومغلوطة ؟ وكيف يحيل الله محمدا على اهل الكتاب يسألهم ليزيلوا الشك من قلبه؟ وكيف يحض اهل الكتاب على ان يقيموا التوراة والانجيل ؟ بل وكيف يقول القرآن « انّا انزلنا الذكر وانا له لحافظون » ، فأين اذن الوعد الالهي بحفظ الذكر اذا كان يترك الناس يعبثون بالذكر ويحرفونه ؟ واذا سمح الله للناس ان يحرفوا الذكر الذي بين ايدي اليهود والنصارى فيسمح ايضا للذكر الاخر ان يعبث الناس به .

واذ قال نظمي ان القرآن جاء ليصحح عقائد اهل الكتاب التي خرجوا بها عن كتابكم ! نقول له : ان هذه المهمة لا تحتاج

الى دين جديد بل الى وعّاظ ومصلحين ينادون الناس بالتوبة والرجوع الى الحق ، الرجوع الى الشريعة كما كان يحدث قديما . فعندما كان يزيغ شعب اسرائيل عن الله ويحيدون عـن وصاياه ويخالفون شريعته ، كان يقوم بينهم امثال ايليا واشعياء وارمياء ويوحنا المعمدان وينادون كما نادى ايليا قائلا للشعب الاسرائيلي: « حتى متى تعرجون بين الجانبين ؟ ان كان الرب هو الله فاتبعوه ، وان كان البعل فاتبعوه » (١ مل ١٨ : ٢١) ، وكاشعياء الذي قال لليهود : « ربيت بنين ونشأتهم اما هم فعصوا علي . اسمعوا كلام الرب ، اغتسلوا ، تنقوا ، اعزلوا شر افعالكم من امام عيني » ، وكما قال مرة اخرى : « الى الشريعة والى الشهادة ان لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر (٨ : ٢٠)، وكما قال لهم ارمياء النبي : « هكذا قال الرب : قفـوا على الطريق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة اين هو الطريق الصالح ، وسيروا فيه فتجدوا راحة لانفسكم » (٦ : ١٦) ؛ وكمـا وقف فـي وسطهم يوحنا المعمدان وقال : « فاصنعوا اثمارا تليق بالتوبة » (٣ : ٨)

وكما يقوم الواعظون في كل زمـان ومكـان بين اليهود والمسيحيين والمسلمين يعظون ويوبخون ويحثون الناس على التوبة والرجوع الى الشريعة والتمسك بمبادىء الدين ، دون ان يأتوهم بدين جديد وشرائع جديدة . والا لو كان ، كما يقول الدكتور نظمي ، يقوم دين جديـد لتصحيح الاخطـاء ، لامتلأ العالم من الاديان العديدة والانبياء الكثيرين فيحار الناس وسط مئـات الشرائع والنواميس وكثـرة الاديـان ، فتعـم الفوضى ويكثر الادعياء في العالم !

يكفر بلاهوت المسيح

لقد قام من بين المسيحيين في القرون الاولى هراطقة ومبتدعون كثيرون كما قام في هذه الايام من بين المسيحيين نظمي لوقا • ولكن اولئك الهراطقة المبتدعين لم يقولوا في المسيح ما قاله نظمي لوقا !

ففي القرن الثالث ظهر « ماني » بهرطقته يقول : « فبعد ان انذر الله النفوس المأسورة بخدمة ملائكة وبواسطة اناس علمهم ، ارسل المسيح ابنه اخيرا نازلا من الشمس الى عالمنا هذا فظهر بين اليهود لابسا صورة وظل جسد انساني لا جسدا حقيقيا ، وهداهم الى طريق الخلاص وبرهن لاهوته بعجائبه ••• وبعد ان تمم المسيح رسالته رجع الى الشمس مسكنه الاول •• الخ » •

وظهر ايضا سابليوس في القرن الثالث ، فاعتقد « ان قوة ما فقط صدرت عن الآب الاعظم ، او جزءا من الطبيعة الالهية افرز منه واتحد مع الابن او الانسان المسيح ••• الخ » •

وبولس الصاموساتي ظهر في القرن الثالث بهرطقته التي ازعجت المسيحيين وقد ظن : « ان الابن والروح القدس وجدا

في الله كوجود العقل والقوة الفعالة في الانسان . وان المسيح ولد انسانا فقط ولكنه ظن ان الحكمة او العقل (لوغوس) ، كلمة الاب نزلت اليه ومكنته من ان يعلم ويعمل العجائب ، وبسبب اتحاد الكلمة الالهية بالانسان يسوع المسيح قيل ان المسيح هو الله ولكن ليس بمعناها الحقيقي » .

وآريوس الذي قام في القرن الرابع وانعقدت بسببه المجامع ، وحرمته الكنيسة قال في المسيح : « ان الابن يختلف بالكلية والجوهر عن الاب ولم يكن الا اول المخلوقات الذين أوجدهم الله الاب من العدم ، واشرفهم ، وهو الآلة التي استعملها الاب في خلق العالم الهيولي، ولهذا هو دون الاب طبيعة وكرامة »

هذه هرطقات أربع قام بها اربعة من الفلاسفة الدينيين اصحاب العقول الجبارة الذين قامت لهم الكنيسة وقعدت وانتهى الامر بحرمانهم .

اما خامسهم الدكتور نظمي فقد أنكر على المسيح ما اعترف له به أولئك الهراطقة الذين حرمتهم الكنيسة .

قال نظمي هرطوقي آخر الزمان في الصفحة ٧٣ :

« فقد صار اتباع المسيح الى القول بالوهيته وانه ابن الله ... ولم يرد على لسان المسيح في اقواله الواردة في بشارات حواريه (الاناجيل) اشارة الى شيء من ذلك ، بل كان يدعو نفسه على الدوام « ابن الانسان » . واما البنوة لله عز وجل فما

ورد لها ذكر الا على سبيل المجاز المطلق وبمعنى يشمل البشر كافة »

هذا ما قاله نظمي لوقا عن المسيح معتبرا اياه مجرد بشر وان نسبته الى الله كنسبة كل بشري .

ولما كانت مجامعنا الكنسية في غيبة منقطعة لا يعلم لها محل وجود لاعلامها بهذه القضية وامثالها وامثال امثالها ، فقد اعتمدنا على الله وجعلنا مؤلفنا هذا بمثابة مجمع صغير تدور فيه مناقشة موضوع هذا الكفر بلاهوت المسيح .

بين الحقيقة والمجاز

خلع الدكتور نظمي على كلمة « ابن الانسان » ثوب الحقيقة وخلع على كلمة « ابن الله » ثوب المجاز ! وظن انها « تهويشة » وتمر ، كما ظن في مبادئه الفاسدة انها بديهيات لا تناقش ؛ وها نحن قد ناقشناها كما مر بالقارىء وطارت كما طار هو من العالم المسيحي !

وسنعلمه هنا ان بعض الظن اثم فنقول له ما قاله السيد المسيح لنيقوديموس : «انت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا !...» فانت معلم ثانوي وارتقيت الى مدرس بالكلية ، ولا تعلم أهم قواعد المجاز ؟ !

ألا تعلم ان للمجاز قاعدة غير قابلة للزعزعة تقاعدتك الفاسدة التي تطير بحركة قلم ! اسمع لي ، يا نظمي ، اذكرك بها عسى ان تنفع الذكرى ! وهذه هي القاعدة :

« لا بد ان تكون هناك قرينة تدل على ان القول مجاز ، فاذا انتفت القرينة حمل الكلام على الحقيقة » . فكم وكم اذا اقترن الكلام بقرينة واضحة صارخة تخترق اذن الاطرش ، قاطعة مانعة تدل على استحالة المجاز ؟ !

وها نحن نورد بعض آيات الانجيل التي دعا المسيح فيها نفسه « ابن الانسان » وما اقترن بها من قرينة وقرائن تدل على استحالة كون « ابن الانسان » هذا مجرد انسان :

(١) « وحينئذ تبصرون « ابن الانسان » آتيا في سحاب السماء بقوة كثيرة ومجد ، فيرسل حينئذ ملائكته ويجمع مختاريه من الاربع الرياح من اقصى الارض الى اقصى السماء » (مر ١٣ : ٢٦ و ٢٧) .

(٢) فان « ابن الانسان » سوف يأتي في مجد ابيه مع ملائكته وحينئذ يجازي كل واحد حسب عمله » (متى ١٦ : ٢٧)

(٣) « من الان تبصرون « ابن الانسان » جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء » (متى ٢٦ : ٦٤) .

(٤) « اسهروا اذن وتضرعوا في كل حين لكي تحسبوا اهلا

للنجاة من جميع هذا المزمع ان يكون، وتقفوا امام « ابن الانسان » (لو ٢١ : ٣٦)

(٥) « فان رأيتم ابن الانسان صاعدا الى حيث كان اولا » (يو ٦ : ٦٢)

(٦) « ليس أحد صعد الى السماء الا الذي نزل من السماء « ابن الانسان » الذي هو في السماء » (يو ٣ : ١٣)

(٧) « ولكي تعلموا ان لابن الانسان سلطانا على الارض ان يغفر الخطايا ، حينئذ قال للمفلوج : قم احمل فراشك واذهب الى بيتك ! فقام ومضى » (متى ٩ : ٦) •

فهل قيل او يقال عن ابن انسان ، على وجه الاطلاق ، انه يأتي على السحاب ، ويأمر ملائكته فتجمع الخلائق البشرية من اقصى الارض الى اقصى السماء ليقفوا امام كرسيه لدينونتهم ومجازاتهم بحسب اعمالهم الامر الذي شهد به محمد نفسه للمسيح بقوله : « لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا » (البخاري الجزء الثاني) •

ومعلوم ، على حسب قول القرآن في الفاتحة ، ان « مالك يوم الدين » هو الله نفسه •

وهل ادعى أحد من البشر وكل واحد منهم يدعى « ابن الانسان » بانه نزل من السماء وعاد اليها صاعدا ، وانه وهو على الارض كائن في ذات الوقت في السماء ؟ وهوذا يوحنا المعمدان

العظيم في الانبياء يقول عن نفسه بالنسبة الى المسيح : « الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع ، والذي من الارض هو ارضي ومن الارض يتكلم ، الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع » (يو ٣ : ٣٠ و ٣١) • واستفانوس الشهيد المسيحي الاول يقول : « ها انا ذا ارى السموات مفتوحة وابن الانسان قائما عن يمين الله » ثم يدعو ويقول : «ايها الرب يسوع اقبل روحي» (اع ٧ : ٥٦ و ٥٩) • ومعلوم ما جاء في الكتاب عن الانسان : « فيرجع التراب الى الارض كما كان وترجع الروح الى الله الذي أعطاها » (جا ١٢ : ٧) ، واستفانوس هنا يسلم روحه للرب يسوع ، اذن يكون المسيح ابن الانسان هو الله الذي اعطى الروح واليه ترجع

وهل ادعى مجرد ابن انسان ان له سلطانا على الارض ان يغفر الخطايا غير يسوع المسيح ابن الانسان ؟ وذلك عندما تحداه رؤساء اليهود بقولهم : « انه لا يغفر الخطايا الا الله وحده » (متى ٩ : ٦) ، وأيد سلطانه على مغفرة الخطايا باعجوبة باهرة ، أي بعمل الهي هو شفاء المخلع بمجرد قوله : « قم !... »

أليست هذه قرائن قاطعة تجعل من المستحيل ان يكون المسيح مجرد « ابن انسان » بل هو اكثر من ذلك ، هو الانسان الاله او الاله المتأنس ؟ !

وها نحن نورد ايضا بعضا من الآيات الواردة في الانجيل التي قال فيها السيد المسيح عن نفسه وقالها رسله عنه انه « ابن الله » وما اقترن بها من قرائن صارخة تجعل من المستحيل ان

يكون المسيح «ابن الله» مجازا بالمعنى الذي يشمل البشر كافة :

اولا : ما قاله الرسل عنه :

قال يوحنا في انجيله : « والكلمة صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجداً من الاب لابنه الوحيد الممتلىء نعمة وحقا » (١ : ١٤)

وقال ايضا : « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله • هذا كان في البدء عند الله ، كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان » (١ : ١ ــ ٣)

وقال بولس الرسول : « ونقلنا الى ملكوت ابنه الحبيب الذي لنا فيه الفداء بغفران الخطايا ، الذي هو صورة الله غير المنظور ، المولود قبل كل خلق اذ فيه خلق كل ما في السموات وما على الارض ، ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشا ام سيادات ام رئاسات ام سلاطين • الكل به وله قد خلق الذي هو قبل كل شيء وفيه يقوم الكل » (كو ١ : ١٣ ــ ١٧)

فأي انسان كائنا ما كان يتساوى مع المسيح في بنوّته لله على سبيل المجاز فيقول انه كلمة الله المتجسد ، وان له المجد كما ينبغي ان يكون لابن وحيد للآب ؟ وانه الكلمة الذي كان في البدء عند الله وكان هو الله ، وكل شيء به كان ، وبغيره لم يكن شيء وانه ضابط كل شيء وصورة جوهر الله غير المنظور ؟

بل من من البشر قال عنه القرآن كما قال عن المسيح : «ان الله

يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم » (آل عمران) ، « وكلمته القاها الى مريم » (النساء) ؛ أليست هذه قرائن تجعل مساواة البشر للمسيح في بنوته لله مستحيلة ، كما تجعل بنوة المسيح لله حقيقية على حد قول بولس :

« هو القائم في صورة الله

لم يعتد مساواته لله (حالة) مختلسة

بل لاشى ذاته آخذا صورة عبد

صائراً شبيها بالبشر ، فوُجد كانسان في الهيئة ...

لذلك رفعه الله

واعطاه الاسم الذي يفوق كل اسم

لكي تجثو لاسم يسوع

كل ركبة في السماوات وعلى الارض وتحت الارض

ويعترف كل لسان

بان يسوع المسيح هو رب لمجد الله الاب » (في ٢ : ٦ — ١١)

فاذا كان البشر يتساوون مجازا مع المسيح في تسميته « ابن البشر » فهل يتساوون مع المسيح في كونه مساويا حقا لله ، نازلا من السماء ليأخذ صورة عبد ويصير شبيها بالبشر؟ وهل من بشر صرح لهم الله ان كل ركبة مما في السماء وعلى الارض

تجثو امامهم ؟ اذا وجد في البشر احد غير المسيح على هـذه الصفات فاننا مستعدون ان نعبده الها ، لانه مكتوب « للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد » • ألا تقوم كل هذه القرائن على ان بنوّة المسيح لله بنوة حقيقية لا يستوي معه فيها البشر ، كما يقول نظمي لوقا

ثانيا : ما قاله المسيح عن نفسه :

قال يسوع للاعمى الاكمه : « أتؤمن بابن الله ؟ اجاب ذاك وقال : من هو ، يا سيد ، لاؤمن به ؟ قال له يسوع : لقد رأيته • ان الذي يتكلم معك هو هو • فقال اؤمن يا سيد وسجد له » (يو ٩ : ٣٥ ــ ٣٨) •

فيسوع يدعو نفسه ابن الله ويقبل السجود من الاعمى ــ والسجود لله وحده ــ بدون أي ممانعة ولا أي تقويم لتفكير الرجل وفعله • وما كان المسيح ليرضى بذلك لو لم يكن في الحق والحقيقة ابن الله الواحد في الجوهر مع ابيه السماوي ، ولاسيما وان الاعمى يهودي ، واليهود محظور عليهم ان يسجدوا لغير الله• ومعلوم ان تكرار ضمير الفصل هو هو ، في جواب يسوع ، معناه التوكيد كما في قواعد اللغة ، والتوكيد لا يكون للمجاز بل للحقيقة

أليست جميع هذه القرائن دليلا قاطعا على ان المسيح هو ابن الله حقيقة لا مجازا ؟

وهل يجوز للبشر المتساوين مع المسيح في بنوته لله على سبيل المجاز ان يقبلوا السجود لانفسهم ؟ وهل يستطيعون ان يخلقوا من الطين مقلتين كما خلق المسيح مقلتين لعيني الاكمه ؟

انا نريد ان نرى من البشر من يقول ما قاله السيد المسيح عن نفسه ، وان يفعل ما فعله ، ويعيش مثله قدوسا طاهرا بلا اثم ولا خطيئة ، ونحن نقول عنه ان الله ظهر في الجسد

وقال السيد المسيح : « كما ان الاب يحيي الاموات كذلك الابن ايضا يحيي من يشاء » (يو ٥ : ١٩ — ٢٢)

وقال ايضا : « كما ان الاب له الحياة في ذاته كذلك اعطى الابن ان تكون له الحياة في ذاته واعطاه سلطانا ان يدين ايضا لانه ابن الانسان ، كما اسمع ادين ودينونتي عادلة » (يو ٥ : ٢٦ و٣٨)

فهل انت يا دكتور نظمي ، يا من تدعي انك مساو للمسيح في بنوته لله ، تستطيع ان تقول ويكون قولك حقا انك تقيم الاموات وتحيي كما قال المسيح وعمل ؟

وهل لك الحياة في ذاتك ،أي مستمدة من ذاتك ، ولا يسلبها احد منك الا بارادتك ؟ وهل تقدر ان تقول ويكون قولك حقا ، انك تدين العالم ودينونتك عادلة ؟ ام انك انت وانا ممن حذرهم المسيح ان لا يدينوا الاخرين (متى ٧ : ١) ؟

أليست كل هذه قرائن صارخة على ان بنوّة المسيح لله حقيقية وليست كبنوة البشر المجازية لله؟

وهل تستطيع انت أو أي بشري آخر ان تقول ما قاله المسيح ابن الله الحقيقي : « قبل ان يكون ابراهيم انا كائن » (يو ٨ : ٨) ؟ أو تقول ما قاله له المجد : « حيثما اجتمع اثنان او ثلاثة باسمي فهناك اكون في وسطهم » (متى ١٨ : ٢٠) ؛ وقوله : « انا معكم كل الايام حتى انقضاء الدهر » (متى ٢٨ : ٢٠) ؟ أي انه في كل مكان ، وازلي ابدي .

ولا بد من ان تسمع أخيرا قول بولس الرسول عن اليهود : « ومنهم المسيح بحسب الجسد الذي هو فوق كل شيء ، اله مبارك الى الابد » (رو ٩ : ٥) وتوما تلميذه عندما تحقق صدق قيامته صرخ قائلا : « ربي والهي » (يو ٢٠ : ٢٨ و ٢٩) .

وعليه وان يكن البشر قد دعوا مجازا ابناء الله الا ان الانجيل الكريم يدعو السيد المسيح « ابن الله الوحيد » ، و « الابن الحبيب » ، هو « صورة جوهر الله غير المنظور » ، والذي « فيه يحل كل ملء اللاهوت جسديا » (كو ٢ : ٩) ...

وتعوزني الصحف لاورد لك جميع النصوص الكتابية التي تكلمت عن السيد المسيح كاله قادر على كل شيء ، وانه الاول والاخر ، والفاحص القلوب والكلى (انظر سفر الرؤيا برمته) .

التثليث والتوحيد

كتب الدكتور نظمي يندد بعقيدة التثليث والتوحيد في صفحة ٧٣ يقول : « ان القرآن جاء ليصحح عقائد اهل الكتاب الذين صاروا الى القول ان الاله الواحد جوهر واحد ، له ثلاثة اقانيم هي الله الاب ــ والله الابن ــ وهو المسيح ــ والروح القدس • »

أما نحن فنسأل نظمي لوقا : أجهل منك ام تجاهل بالكتاب المقدس حتى تقول : « ان أهل الكتاب صاروا الى القول : ان الاله الواحد له ثلاثة اقانيم ؟ ! ان اهل الكتاب لا ذنب لهم في هذا الاعتقاد اللهم الا اذا كان ذنبهم في نظرك أنهم لا يخرجون عما جاء في كتابهم بل يعتقدون بما جاء فيه •

وهذا بعض ما علمهم اياه كتابهم :

قال السيد المسيح لتلاميذه : « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس » (متى ٢٨ : ١٩) •

وقال بولس الرسول : « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الاب وشركة الروح القدس » (٢ كو ١٣ : ١٤) • وترى ان ربنا

يسوع المسيح الابن له النعمة، والاب له المحبة، والروح القدس له الشركة

ويقول يوحنا الرسول: « فان الشهود في السماء ثلاثة: الاب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد » (١ يو ٥ : ٧) واذن تثليث في توحيد

فما ذنب المسيحيين حتى تعيب عليهم عقيدة علمهم اياها الانجيل الذي قال عنه القرآن: « وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه » (البقرة)، وقال ايضا: « قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » (المائدة)

اسمع يا نظمي ما جاء في كتاب اليواقيت (الجزء الاول ص ٨١) : قال سيدي علي بن وفا : اعلم ان الذات شي واحد لا كثرة فيه ولا تعدد بالحقيقة، وانما قالت المعتزلة من تعدد القدماء من جهة اعتبار تعينها بالصفات، وذلك انما هو تعدد اعتباري، والاعتباري لا يقدح في الوحدة الحقيقية كفروع الشجرة بالنظر لاصلها او كالاصابع بالنظر الى الكف .

وفي كتاب المواقف (ص ٣٨٥) يقول: « ولا يلتبس عليك ان الاشاعرة لما اثبتوا له صفات حقيقية لم يكن هو بسيطا حقيقيا، واحدا من جميع جهاته »

أرأيت يا نظمي كيف ان علماء المسلمين لما أثبتوا التعدد الاعتباري في ذات الله قالوا ان الله لم يكن بسيطا بالنظر الى تعدد صفاته!

واسمع ايضا ما جاء في كتاب المواقف (ص ٣٤٢) « بين الوحدة والكثرة مقابلة قطعاً اذ لا يجوز اجتماعهما في شيء واحد من جهة واحدة • ولكن مقابلة الوحدة والكثرة ليست ذاتية ثم اوضح ان الوحدة ليست ضد الكثرة »

واليك بعض الامثلة على التعدد الاعتباري في الوحدة :

الشمس : جرم ونـور وحرارة ، والثلاثة مسمـى واحد ، الشمس • والشجرة : أصل وجذع واغصـان ، والثلاثة مسمى واحد هو الشجـرة • ونفس الانسـان : روح وعقل وارادة ، والثلاثة مسمى واحد هو النفس •

والبسملة الاسلامية : الله والرحمان والرحيم ؛ ومع هـذا التعدد في الصفات فالثلاثة ، على اعتبار آخر ، واحد هو الله •

وكذلك البسملة المسيحية فقوامها ثلاثة اقانيم او اشخاص • ومع هذا التعدد فالثلاثة ، على اعتبار آخر ، أي على اعتبار الجوهر او الطبيعة ، هم واحد • لذلك يقول المسيحيون « باسم » ـــ لا باسماء ـــ الآب والابن والروح القدس •

الانسان والخطيئة الموروثة

كتب الدكتور نظمي في صفحة ٨٣ يقول: « اما الانسان فوقف بعد اليهودية والمسيحية موقفا لا يحسد عليه كثيرا بسبب ما الصق به من وزر أبيه الاول آدم، ذلك الوزر الذي اعتبر خطيئة اولى، خطيئة باقية موروثة لا بد لها من كفارة وفداء حتى لا يذهب بجريرتها ابناء الجنس البشري كافة »

« وان انس لا انس ما ركبني صغيرا من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الاولى وما سيقت فيه من سياق مروع يقترن بوصف جهنم ذلك الوصف المثير مخيلة الاطفال، وكيف تجدد فيه الجلود كلما اكلتها النيران، جزاء وفاقا على خطيئة آدم بايعاز من حواء، وانه لولا النجاة على يد المسيح الذي فدى البشر بدمه الطهور، لكان مصير البشرية كلها الهلاك المبين »

« وان أنس لا أنس القلق الذي يساورني وشغل خاطري عن ملايين البشر قبل المسيح، اين هم وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة »

« فكان لا بد من عقيدة ترفع عن كاهل البشر هذه اللعنة،

وتطمئنهم الى العدالة التي لا تأخذ البريء بالمجرم او تزر الولد بوزر الوالد وتجعل للبشرية كرامة مضمونة ، ويحسم القرآن هذا الامر حين يتعرض لقصة آدم وما تروي فيه من أكل الثمرة المحرمة فيقول في سورة طه : « وعصى آدم ربه فغوى ، ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » • وفي سورة البقرة يقول : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم »

« والحق انه لا يمكن ان يقدر قيمة عقيدة خالية من اعباء الخطيئة الاولى الموروثة الا من نشأ في ظل تلك الفكرة القاتمة التي تطبع بصفة الخجل والتأثم كل أفعال المرء فيمضي في حياته مضي المريب المتردد ولا يقبل عليها اقبال الواثق بسبب ما انقض ظهره من الوزر الموروث »

« ان تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها ، ورفعها عن كاهل الانسان منة عظيمة بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه ، بل هو ولادة جديدة حقا ، ورد اعتبار لا شك فيه ، انه تمزيق صحيفة السوابق ووضع زمام كل انسان ليد نفسه »

هذا ما كتبه الدكتور نظمي

ان من يطالع هذه الاقوال يقف حائرا لا يدرك ماذا يقصد نظمي بها ! هل هو يعتقد بما جاء في التوراة والانجيل والقرآن والحديث عن خطيئة آدم وحواء ووقوعهما في العصيان ام لا يعتقد ؟ وهل يعتقد بقصاص الخطيئة ام لا يعتقد ؟ وهل يعتقد

بعذاب جهنم او هو يهزأ به ؟ وهل يعتقد بلزوم الكفارة والفداء او هو كافر به ؟ وهل هو جاد او هازل ؟..

لقد كان نظمي يستطيع ان يكتب ويكتب والقراء يخرجون من وراء ما يكتب دون ان يقفوا على قصده ، لولا أن زل قلمه الجموح فراح يهزأ بوصف جهنم ، ويجعل منه بعبعا للاطفال ومثيرا لمخيلتهم ، هذا الوصف الذي أوقع الفزع والهول في نفسه الصغيرة لا ينساه الى هذا اليوم • وصف جهنم وكيف تتجدد فيها الجلود كلما اكلتهـا النيران جزاء وفاقا على خطيئـة آدم بايعاز من حواء

كتب نظمي هذا وهـو يدري او لا يدري أن وصف جهنم هذا لم يرد لا في توراة اليهود ولا في انجيل المسيحيين وانما هو وارد في القرآن في سورة النسـاء حيث قيـل : « وكفى بجهنم سعيرا ، ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناها جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيمـا »

اما نحن فنتركه هازئا بالجحيم ونسير في طريقنا نقيم الدليل على صدق كل ما تهكم عليه

اولا ــ خطيئـة آدم وحواء

هذه حقيقة ثابتة في كتب الاديان الثلاثة :

ففي التوراة جاء في سفر التكوين (الاصحاح الثاني والثالث) عن وصية الله لآدم ألا يأكل من شجرة معرفة الخير والشر، وأنذره بالموت ان أكل، وكيف غرتهما الحية فأكلا منها وتعريا وطردا من الجنة بعد أن وعدهما بمخلص يسحق رأس الحية أي رأس الشيطان

والعهد الجديد ـ الانجيل ـ تكلم عن سقوط آدم وحواء (انظر رسائل بولس الى رومية : ١٤ و ١٩، وكورنثوس الاولى ١٥ : ٢٢؛ والعبرانيين ٩ : ١٥)

والقرآن فقد جاء في سورة البقرة: «وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. فأزلهما الشيطان منها فأخرجهما مما كانا فيه. وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو، ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين. فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم. قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (انظر ايضا سورتي طه والاعراف)

ثانيا ـ وراثة الجنس البشري لخطيئة آدم

تعلمنا كتب الاديان الثلاثة أن الله خلق الانسان مستقيما (جا ٧ : ٢٩) لانه تعالى «خلق الانسان على صورته ومثاله»

(تك ١ : ٢٦) ؛ ولان الانسان « صورة الله ومجده » (١ كو ١٣ : ٦) ؛ وجاء في القرآن قوله : « لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم » (سورة التين)

فاذا كان الله قد خلق الانسان على صورته ومثاله ، والله قدوس طاهر وكلي القداسة والطهر ، فمن أين اذن جاءت هذه الخطايا ، ومن أي نبع نبعت في الانسان وصيرت تصور افكار قلبه شريرا كل يوم (تك ٦ : ٥) ، وزاغ الجميع وفسدوا وليس من يعمل صلاحا (مز ١٤ : ٤) بدون استثناء ، لا فرق بين الانبياء والمرسلين الذين حملوا الوحي الى البشر ، وبين الافراد العاديين

وهذا الامر الخطير سجلته جميع كتب الاديان ولم يستنكف الانبياء انفسهم من ان يذكروا خطاياهم الخاصة ليبينوا للناس حاجتهم الى المخلص الذي وعد الله به آدم في الجنة ان يأتي ويسحق رأس الشيطان الذي استعبدهم ، كما يقول بولس الرسول : « الجميع زاغوا وفسدوا معا ، ليس بعد من يعمل صلاحا ولا واحد .. اذ الجميع خطئوا واعوزهم مجد الله » . (رو ٣ : ١٢ و ٢٣)

واليك سجل خطايا الانبياء والبطاركة وقادة البشر : فالتوراة ذكرت في سفر التكوين قصة سكر نوح (٩ : ٢١) ؛ وكذب ابرهيم (٢٠ : ٢) ؛ واحتيال يعقوب (٢٧ : ١٨ ــ ٢٩) . وفي سفر العدد ذكرت ضعف ايمان موسى (٢٠) ؛ وفي سفر صموئيل الثاني ص ١٢ ذكرت زنى داود النبي وقتله لاوريا . ويونان ذكر

عن نفسه هربه من وجه الله (١)

والقرآن ذكر لهؤلاء، الذين ذكرتهم التوراة خطاياهم (انظر سورة نوح والانعام والبقرة والصافات والانبياء والقصص والشعراء والاعراف ويونس)

كما ذكر القرآن خطايا محمد في سورة الضحى قال: « ووجدك ضالا فهدى، ووجدك عائلا فأغنى » ؛ وفي سورة الحج: « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته، والله عليم حكيم » ـ وقال ابن عباس وجميع المفسرين: لما رأى محمد تولي قومه عنه وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاء به من الله تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم، فكان يوما في مجلس لقريش فأنزل الله سورة النجم فقرأها محمد حتى بلغ « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى (ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتمناه) وهو: « تلك الغرانيق العلى، وان شفاعتهن لترتجى » فلما سمعت قريش ذلك فرحوا ومضى محمد في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها، وسجد المسلمون بسجوده، وسجد من في المسجد من المشركين، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد، وتفرقت قريش وقد سرهم من ذكر آلهتهم، ويقولون: قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر، وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويرزق ولكن آلهتنا هذه

تشفع لنا عنده ، فان جعل محمد لها نصيبا فنحن معه • فلما احس الرسول أتاه جبريل فقال : يا محمد ماذا صنعت ، لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله ! فحزن محمد حزنا شديدا وخاف من الله تعالى خوفا كبيرا فأنزل الله هذه الآية : « وما ارسلنا ••• » (البخاري ٣ ص ١٠٩)

وجاء في (سورة ألم نشرح) قوله : « ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك » ، وفي سورة الفتح : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » ، وفي سورة محمد : « واعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات »

وفي حديث البخاري (جزء ٤ ص ٦٦) يقول محمد : اني استغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة • وفي الجزء الثالث ص ٦٢ قالت عائشة انها أصغت اليه ، قبل ان يموت وهو مسند الى ظهره ، يقول : اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق

أرأيت يا نظمي عمومية الخطيئة وكيف أن جميع البشر عموما خطاة بلا استثناء ؟ أليست هي الموروثة عن آدم ؟ كما ذكرت التوراة ان آدم ولد ولدا على صورته كشبهه (تك ٥ : ٣) أي على الصورة الخاطئة التي كان عليها آدم بعد السقوط ، وهكذا ولد جميع النسل على هذه الصورة الخاطئة كقول الرسول : « ان الله صنع من دم واحد كل أمة من الناس » (اع ١٧ : ١٦) ؛ وايضا : « كما انما بانسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم وبالخطيئة الموت ، هكذا اجتاز الموت الى جميع الناس لان الجميع

خطئوا لانه كما "جعل الكثيرون خطاة بمعصية الانسان الواحد...»
(رو ٥ : ١٢ و ١٩) . ويقول داود النبي : « هاءنذا بالاثم "صورت وبالخطيئة حبلت بي أمي » (مز ٥١ : ٥)

والقرآن يؤيد هذه الحقيقة كما جاء في سورة الاعراف : « واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا ، بلى ! شهدنا ان تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين ، او تقولوا : انما أشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ » .

وجاء في حديث البخاري ان النبي (صلعم) قال : أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان ، يعني عرفة فأخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا ، وقال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين

ويقول حديث البخاري (الجزء الاول) : ما من مولود الا يولد على الفطرة ، فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا ، هل تحسون فيها من جدعاء ، ثم يقول ابو هريرة : فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله

واذا كان الدكتور نظمي بعد كل هذه الادلة الكتابية يظل هازئا بوراثة النسل لخطيئة أبيه آدم ، كما هزأ بتصوير جهنم الوارد في القرآن ، فاننا لا ندعه يفلت من حكم المصفقين له والمعجبين به ، فنقول له : ما قولك يا حصيف في ما اوردناه من

القرآن والاحاديث عن ان الله قد أخذ من بني آدم ، من ظهورهم ، ذريتهم واشهدهم على انفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا بلى ، شهدنا ان لا تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هـذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية مـن بعدهم أفتهلكنا بمـا فعل المبطلون ؟

هل تظل تتهكم على ما ألصق بالانسان من وزر ابيه الاول آدم ؟ وهل تستمر قلقا من جهة ملايين البشر الذين هلكوا ؟ وهل تصر على قولك بان البشر كانوا بحاجة الى عقيدة ترفع عن كاهلهم هذه اللعنة وتطمئنهم الى العدالة التي لا تأخذ البريء بذنب المجرم، او تزر الولد بوزر الوالد ؟

وهل تظل تتهم عدالة الله التي اخذت الميثاق على نسل آدم واشهدتهم على أنفسهم وحرمت عليهم ان يقولوا ما قلته انت يـا نظمي : انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ ام تعتذر بعذر أقبح من ذنبك فتقول : ان الله ارتضى بظلم البشر طوال الوف السنين فأهلكهم بما فعل ابواهم آدم وحواء فاراد ان يرفع هذا الظلم فبعث بمحمد وبعقيدة محمد ليرفع عن كاهل البشر هـذه اللعنة ويطمئنهم الى عدالة الله التي ضاعت كل هذه السنين الطويلة والطويلة جدا ؟ !

فسواء كان هذا او ذاك فاذن لا يكون العيب عيب اليهودية والمسيحية اللتين قالتـا بوراثة الجنس البشري لخطيئة آدم ، بل الذنب ذنب الذين صفقوا لك وانت تستهزىء بما جاء في القرآن ،

بان الله لما أخذ الميثاق من ظهر آدم أخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنشرهم بين يديه ... الى آخر ما اوردناه

واذا كنت تكفر بكـل الكتب مـن توراة وانجيل وقرآن وحديث فلا تأخذ بما جاء فيها ، فمـا قولك فـي سريان قصاص الخطيئة الذي وقع على ادم عندما سقط في الخطيئة ، ولا يزال ساريا الى هذا اليوم على نسله ؟

فهوذا حكم الله على آدم بانه بعرق جبينه يأكل خبزه ؛ ولا يزال نسله يخضعون لـه فيأكلون الى هـذا اليوم خبزهم بعرق جبينهم ؛ ولعنة الارض بسبب خطية آدم لا يزال نسله يقاسيهـا اذ يزرع فتنبت له الارض شوكا وحسكـا ؛ وهوذا الحكم على حواء القائل « تكثيرا اكثر اتعاب حبلك ، وبالوجع تلدين اولادا » لا تزال ابنتها الى هذا اليوم تعانيه ؛ وهوذا الحكم على آدم بانه تراب والى التراب يعـود ، لا يزال ساريا على نسله ؛ والحكم « اهبطوا منها بعضكم لبعض عدو » لا يزال قائما بين اولاد آدم من عداوة وحروب وقتال !

فلماذا لم ترفع عقيدة محمد عن كاهل البشر هذه الاحكام اذا كان لقولك وتهريجك مسحة من الصحة ؟ وان كان لتهريجك شيء من الصحة بأن القرآن حسم هذا الامر حين قال في سورة النجم : « وان ليس للانسان الا ما سعى » • وقوله : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » ـ ان كان لمجرد هذه الكلمات قد محا الله الذنب وتاب الله عليـه ، فلماذا عادت الآية تقـول : « قلنا

اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى ومن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون » كأن الخوف والحزن قد ظلا واقعين على الانسان الى ان يأتي الهدى ، والذي يتبع الهدى يرتفع عنه الحزن والخوف

لا . لا يا دكتور آخر الزمان ان التوبة وحدها لا تعفي من القصاص لانه لو كان لتهريجك شبه الحقيقة لكننا نرى محاكم الجنايات في العالم ، وضمنها محاكم البلاد الاسلامية ، بمجرد ان يقف امامها المجرم ويظهر الندامة ويسح من عينيه دموع التماسيح كانت تعفيه المحاكم من القصاص ، وتطلق سراحه ، فلا سجن ولا مشنقة !

ان عدالة الله ورحمته تعملان معا فالرحمة تغفر للتائب فلا تهلكه في عذاب جهنم غير ان العدل ، في الوقت نفسه لا يعفيه من القصاص الجسماني او الكفارة او الفداء .

الرحمة والعدل

فالرحمة والعدل صفتان من صفات الله ، واسمان من اسماء الله الحسنى • فاذا صفح الله عن الخطيئة لمجـرد رحمته بدون قصاص او كفارة ، ايفاء لمطاليب العدل الالهي ، كان هذا الغفران منافيا للعدالة • اذ يستوي اذ ذاك الصالح والطالح : من يضبط نفسه ويحرمها الملذات غير البريئة ارضاء لله ، ومن يستبيح كل ما بدا له من شر وفساد فيغفر له ويحظى في النهاية بمـا يحظى به الصالح ! وهذا لا يتفق مع عدالة السماء ولا عدالة الارض

وهنا تكون النتائج الوخيمة اذ يستهين الناس بكل شريعة الهية ووضعية وتعم الفوضى في العالم ، ويعيث الفجار في الارض فسادا ويقولون مع الدكتور نظمي لوقا ان الله غفور رحيم ! !

كما ان الخاطىء لا يشعر بقيمة الغفران والصفح لانه يرى ان غفران الله لم يكلف الله شيئا اكثر من كلمـة قالها : غفرت ! وهنا لا يجد الخاطىء داعيا لمحبة الله التي هي اولى الوصايا

وكذلك ايضا اذا عاقب الله الخـاطىء حسب عدله المجرد فتكون الرحمة الالهية عاطلة ولا فرصة لظهورها

فلو عومل الخاطىء بمجرد الرحمة يصبح مستهينا بالعدالة ، ومعاملته بمجرد العدل تجعله قاسيا عديم الشعور بليدا فيستمر في اجرامه وخطيئته !

الكفارة

المبدأ : الكفارة لا بد منها

ان مبدأ الكفارة ناموس مطبوع في طبيعة الانسان وراسخ في قلبه وضميره ، لا فرق بين الاسود والابيض ، المتمدين والمتوحش ، فالجميع يعتقدون ان الذبيحة النيابية التي يقدمها الانسان عن نفسه تكفر عن خطيئته وتنيله الغفران .

ولست بحاجة الى ايراد شيء عن الكفارة من الاديان الاخرى او النواميس الطبيعية لانني اناقش نظمي لوقا الذي يتظاهر بالاسلام وبالغيرة على الاسلام وبالدفاع عن الاسلام ، فاكتفي بأن اورد له ما ورد عن الكفارة في الاسلام

جاء في سورة الكوثر : « انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر » . ويقول الامام البيضاوي في تفسيرها : « النحر في الضحية يوم العيد » . وفي حديث البخاري ، الجزء الثالث : قال النبي (صلعم) ان أول ما نبدأ به في يومنا هذا نصلي ثم نرجع فننحر ، من فعله فقد أصاب سنتنا ومن ذبح قبل ، فانما هو لحم قدمه لاهله ليس من النسك في شيء ؛ فقام ابو بردة بن نيار وقد

ذبح فقال : ان عندي جذعة ، فقال : اذبحها ولن تجزى عن أحد بعــدك .

وعن عائشة : فلما كنا بمنى أتيت بلحم بقر فقلت ما هذا ؟ قالوا ضحّى رسول الله (صلعم) عن ازواجه بالبقر (بخاري جزء اول) . وعن أنس ان رسول الله (صلعم) انكفأ الى كبشين أقرنين املحين فذبحهما بيده . وفيه ايضا قال كعب : حملت الى رسول الله (صلعم) والقمل يتناثر على وجهي ، فقال : ما كنت أرى الوجع بلغ بك ما أرى او ما كنت أرى الجهد بك ما أرى . تجد شاة ؟ فقلت لا . قال : فصم ثلاثة ايام او اطعم ستة مساكين . وفيه ايضا قال محمد : من عوقب في الدنيا فهو كفارة له

وجاء في سورة المائدة : « او كفارة ، طعـام مسكين ... وذلك كفارة ايمانكم .. فمن صدق به فهو كفارة له .. فكفارته اطعام عشرة مساكين »

وفي سورة القتال يقول : « كفر عنهم سيأتهم » . وروى ابن ماجه والترمزي والحاكم عن عائشة قالت : ان رسول الله قال : ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب الى الله من اهراق الدم ، وانه لتأتي يوم القيامة بقرونها واشعارها واظلافها أي توضع في ميزان الحسنات سبعين ضعفا . كما صرح به في الحديث المروي عن سيدنا علي قال : وان الدم ليقع من الله بمكان ، أي يشمل الله المضحي به برحمته ورضاه قبل أن يقع من الارض

وروى البزار وابو الشيخ عن أبي سعيد قال رسول الله (صلعم) : يا فاطمة قومي الى اضحيتك فاشهديها فان لك بأول قطرة تقطر من دمها ان يغفر لك ما سلف من ذنوبك الى الصغائر التي ليس فيها حق لمسلم • قالت يا رسول الله : ألنا خاصة أهل البيت أو لنا وللمسلمين ؟ قال بل لنا وللمسلمين ••• وليتخير اضحيته من اجود اصناف النعم واكثرها امتلاء بالشحم واللحم فان ذلك ادعى الى كثرة المثوبة••• ولا بد في الاضحية أن تكون سليمة الجسم من العيوب المنقصة لها •• الخ

وشروط سلامة الضحية من العيوب موافقة لما جاء في التوراة ، لان الذبائح كانت رمزا الى المسيح الفادي المكفر عن خطايا العالم ، الذي هو بلا عيب وحده ، كما جاء في حديث البخاري قوله : ما من بني آدم مولود الا بمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها

وقد كان محمد يقول عند تقديم ضحاياه : اللهم اني اذبح هذه عن كل شعبي وكل الذين يشهدون لوحدانيتك ولارساليتي اللهم هذه عن محمد وعن كل عائلته • وكذلك المصلي اوان عيد الاضحى يقول ، بعد عبارات التكبير اثناء الوضوء : الهي اجعل هذه الذبيحة كفارة عن خطيئتي ، وطهر ديني ، وابعد الشر عني

الذبائح الحيوانية غير كافية

ان الذبائح الحيوانية غير كافية للخلاص من الخطيئة بدليل

تكرارها كل يوم وكل سنة ــ اذ كان تقديمها للغفران عن خطايا السهو فقط ــ فكانت وقتية ، بدليل ان محمدا بالرغم مما كان يقدمه من الضحايا كل سنة عن نفسه وعن نسائه ، فانه عند موته كان يتعوذ من عذاب القبر (البخاري الجزء الاول) وقد ورد في حديث البخاري (الجزء الرابع) قول محمد : لا يدخل احدا في الجنة عمله • فقالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : ولا أنا الا ان لم يتغمدني الله بمغفرة ورحمة

فكان العالم بحاجة إلى ذبيحة كافية

كانت الحاجة الى من يموت عن خطايا العالم باسره ويكون موته كافيا : لان يفي العدل الالهي مطاليبه ، ويرفع القصاص عن الانسان الخاطيء المحكوم عليه بالموت الابدي في جهنم ــ أي يخلص الروح والجسد ، ويخلص العالم من عبودية ابليس ويسحق رأسه بحسب وعد الله لآدم

الشروط الواجب توفرها في المخلص

١ ــ ان يكون فوق سلطان الخطيئة ولم يتنجس بها، لانه اذا كان خاطئا ومات فلا يكون موته فدائيا عن العالم بل يكون موته جزاء وفاقا عن خطيئته الخاصة، كما قال داود النبي (مز ٤٩ : ٧): «الاخ لن يفدي الانسان فداء ولا يعطي الله كفارة عنه» • والمذنب

لا يشفع في مذنب نظيره

٢ – ان يكون أقوى من ابليس الذي استعبد العالم ، اذ الاسير لا يخلص اسيرا ، والعبد لا يحرر عبدا نظيره

٣ – ان يكـون قادرا على القيـام بما عجز الانسـان عن القيام به

٤ – ان يكون له سلطان على الروح والجسد

٥ – ان يكون قادرا على ان يجمع المتفرقين الى واحد في شخصـه

٦ – ان يكون بشريا بارا بلا خطيئة وغير محكوم عليه بالموت كخاطىء ، وذلك لان الحكم بالموت صدر على الانسان فيقتضي ان يموت انسان عن الانسان نفاذا للحكم الالهي الصـادر على الانسان آدم القائل : موتا تموت ، ولانه لا ينوب عن الانسان الا انسان نظيره

٧ – ان يموت طوعا واختيارا بارادته

٨ – ان يكون حيا ليشفع وينوب عن الاحياء والاموات ، ويحيا من الموت والا فكيف يحيي الميت موتى نظيره !

في من تتوفر هذه الشروط ؟

لا تتوفر هذه الشروط في الذبائح الحيوانية لانهـا ضعيفة

وغير قوية وتحت سلطة ابليس اله هذا العالم : « العالـم كله قد وضع في الشرير (١ يو ١٥ : ٩) والحيوانات من مقتنيات العالم الموضوع تحت سلطان ابليس ، لذلك ، فالشياطين التي اخرجها المسيح من المجنون دخلت في الخنازير فسقطت في البحر وماتت (٨ : ٣٧) ؛

وورد في حديث البخاري قول محمد : « اذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان ، فانه رأى شيطانا • والى ذلك فالحيوانات حقيرة بالنسبة الى الانسان فلا تفي ما عليه من دين لله

ولا تتوفر ايضا في انسان ، مجرد انسان ، لان جميع الناس خطئوا واعوزهم مجد الله (مز ١٤ : ٣) ؛ ولا يزال الانسان واقعا تحت نفوذ الشيطان وتأثيره ، كما جاء في حديث البخاري الجزء الثاني ، عن ابي هريرة قال : « سمعت رسول الله (صلعم) يقول: ما من بني آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان غير مريم وابنها • وفي الجزء الثاني من البخاري بقول محمد : ان الشيطان يخطر بين الانسان وقلبه ، وان التثاؤب من الشيطان ••• وان الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم ، واني خشيت ان يقذف في قلوبكم سوءا ،

ولا تتوفر اخيرا في الملائكة ولا في الشياطين لانها ليست من الجنس البشري • فاذا فرضنا انهـا ماتت عن الانسـان فلا يحسب موتها عن البشر لانها ليست بشرا مـن المحكوم عليهم بالموت ، وان أرغم الملائكة على الموت عن البشر بدون ارادتهم

يكون موتهم ظلما لا ترضاه العدالة الالهية

واكثر من ذلك ، فانه اذا اشترى انسان عبدا من سيد آخر يصبح هو السيد لذلك العبد شرعا ؛ ومن ثم فلو خلص البشر وافتداهم أي كائن غير الله لصاروا عبيدا لمن اشتراهم ؛ والعبودية لغير الله تعالى شرك واثم كبير لا تقاس به خطايا العالم ! خصوصا وان الملائكة لا اجساد لها لكي تموت بها عن الانسان الخاطىء

فهذه الشروط توفرت في المسيح وحده لا غير

١ – لانه فوق سلطان الخطيئة : « فلقد كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا ، قدوس بلا شر ولا دنس ، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات » (عب ٧ : ٢٦) ، « الذي لم يفعل خطيئة ولا وجد في فمه مكر » (١ بط ٢ : ٢١) . وقد قال القرآن : « وانما انا رسول ربك اليك لاهب لك غلاما زكيا » . زد عليه ما ورد في حديث البخاري الذي ذكرناه من قبل : « ما من بني آدم مولود الا يمسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها »

٢ – كان المسيح فوق سلطان الشيطان كما مر القول ، بل كان له السلطان على الشياطين فيخرجها فتصرخ مولولة أمامه ، قائلة : « آه ما لنا ولك يا يسوع ابن الله ، أجئت قبل الوقت لتعذبنا ؟! » وكان له ايضا السلطان والقوة ان يربط الشيطان ويأخذ غنائمه (انظر متى ١٢ : ٩)

٣ ـ كان يسوع قادرا على القيام بما عجز الانسان عن القيام به من نحو مطاليب الشريعة الالهية اذ حقق الناموس الالهي وتمم كل ما جاء فيه : كقوله ليوحنا المعمدان : « دع الان لانه يليق بنا ان نكمل كل بر » (متى ٣ : ١٥) وقال عنه بولس الرسول : « فانه ان كان بخطيئة واحد مات الكثيرون فبالاولى كثيرا نعمة الله والعطية بالنعمة التي بالانسان الواحد يسوع المسيح قد ازدادت للكثيرين ... لانه كما بمعصية الانسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا ايضا بطاعة الواحد صار الكثيرون ابرارا » (رو ٥ : ١٥ و ١٩)

٤ ـ وكان المسيح قادرا على ان يجمع المتفرقين الى واحد في شخصه لينوب عن البشر جميعا كما كان البشر واحدا في شخص آدم الذي ناب عن النسل في خطيئة العصيان، ولذلك دعي، له المجد ، بآدم الثاني في العهد الجديد ، ودعي كذلك في القرآن « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم » (سورة آل عمران)

وجمع في شخصه اللاهوت والناسوت ، الالوهة والبشرية، كما قال له المجد في صلاته الوداعية : « ليكون الجميع واحدا كما انت ايها الاب في وانا فيك ليكونوا هم واحدا فينا » (يو ١٧ : ٢١ و ٢٢) ؛ وقال بولس الرسول : « ليجمع كل شيء في المسيح ما في السموات وما في الارض » (أف ١ : ١٠) ، وقال يوحنا : « وليجمع ابناء الله المتفرقين الى واحد » (يو ١١ : ٥٢)

٥ ـ وكان له السلطان على الروح والجسد وقد اظهر هذا

السلطان حين أقام لعازر من الموت بعد اربعة ايام فقال : « لعازر هلم خارجاً ! » فعادت في الحال الروح من عالم الارواح ، وانتزع الجسد من عوامل الفساد فلبسته الروح في الحال وقام حياً (يو ص ١١)

٦ - وكان بشريا وبلا خطيئة ، وليس محكوما عليه بالموت لخطيئة اقترفها بل كنائب عن البشر ، وشفع في المذنبين • لذلك قال الرسول : « ليس بأحد غيره الخلاص » (أع ٤ : ١٢)

٧ - ومات طوعا بمحض ارادته كما قال له المجد « انا ابذل نفسي عن الخراف » لي السلطان بان ابذلها ولي السلطان بان آخذها (يو ١٠ : ١٨) وبرهن قوله هذا بعمله أنه - مع انه كان عالما بموته في اورشليم كما قال لتلاميذه « ان ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه ، ولكن ويل لذلك الرجل الذي يسلم ابن الانسان » (متى ٢٦ : ٢٤) وقوله : « تعلمون انه بعد يومين يكون الفصح وابن الانسان يسلم ليصلب » (متى ٢٦ : ٢) - نراه قد ذهب الى اورشليم في احتفال شعبي كبير يوم احد الشعانين ، مرحبا بالموت

ولما كان في البستان ليلة تسليمه عندما ذهب الجند وخدام الكهنة ليلقوا القبض عليه قال لهم : « من تريدون ؟ اجابوه : يسوع الناصري ، قال لهم : انا هو ! فرجعوا الى الوراء وسقطوا على الارض ••• قال لهم : ان كنتم اذن تطلبونني فدعوا هؤلاء

يذهبون وسلمهم ذاته » (يو ١٨ : ٥ — ٨) . ذلك ، مع ان الفرصة كانت سانحة له ليهرب حين سقطوا ، ولكنه اقامهم وسلمهم نفسه ليموت فداء عن البشر بارادته واختياره

وبناء على توفر جميع الشروط المطلوبة لمن يفتدي العالم في شخص الرب يسوع فقد عينه الله للكفارة عن خطايا العالم كله ، كما تنبأ عنه اشعياء النبي قائلا : « لقد حمل احزاننا وتحمل اوجاعنا ، ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله مذلولا ؛ وهو مجروح لاجل معاصينا ، مسحوق لاجل آثامنا ، فتأديب سلامنا عليه وبشدخه شفينا ؛ كلنا كغنم ضللنا ، ملنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه اثم جميعنا » (أ ش ٥٣ : ٤ — ٦)

وقال له المجد عن نفسه : « كما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي ان يرفع ابن الانسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الابدية » (يو ٣ : ١٤ و ١٥) ؛ وقال يوحنا : « وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا العالم كله » (١ يو ٢ : ٢)

وان موت المسيح الكفاري ، قد شمل الذين ساور الدكتور نظمي القلق من جهتهم ، اولئك الذين ماتوا من ملايين البشر قبل المسيح ، الذين يسأل عنهم نظمي قائلا : « أين هم ، وما ذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة ؟ » لقد شملهم الخلاص لانهم ماتوا على الرجاء وقبلوا المواعيد كما سبق وتنبأ زكريا النبي قائلا : « وانت ايضا بدم عهدك قد اطلقت اسراك من الجب الذي ليس

فيه ماء ؛ ارجعوا الى الحصن يا اسرى الرجاء » (زك ۹ : ۱۱)

وكما قال بولس : « لاننا بالرجاء خلصنا » (رو ۸ : ٢٤) وقال عنهم ايضا : « في الايمان مات هؤلاء اجمعون ، انهم لم ينالوا المواعيد ولكنهم نظروها من بعيد وصدقوها وحيوها واقروا أنهم غرباء ونزلاء على الارض » (عب ۱۱ : ۱۲) : امثال ابراهيم الذي قال عنه السيد المسيح لليهود : « أبوكم ابراهيم تهلل ان يرى يومي فرأى وفرح » (يو ٨ : ٥٦)

وقال بطرس الرسول : « فان المسيح ايضا تألم مرة واحدة من اجل الخطأة ، البار من اجل الاثمة لكي يقربنا الى الله مماتا في الجسد ولكن محيى في الروح الذي فيه ذهب فكرز للارواح التي في السجن » (١ بط ٣ : ١٨ و ١٩)

ولو كانت امك وابوك ، يا نظمي ، مكناك من الدخول الى الكنيسة بقدر ما مكناك من الجامع منذ نعومة اظفارك لكنت قد سمعت في الكنيسة ما يقوله القسيس جدك في القداس عن السيد المسيح بعد موته « نزل الى الجحيم » ليرد أسرى الرجاء الى ملكوت ابيه !

تهكم يا نظمي على فكرة الفداء والكفارة بدم المسيح ، وها قد أطلعناك على بعض ما ورد في القرآن والاحاديث عما أمر به محمد اتباعه من تقديم الضحايا والتكفير ، وما قدمه هو عن نفسه وعن ازواجه ! !

تتهكم على عمل مجرد التفكير فيه والتأمل في حد ذاته يحتوي خلاصة العقائد والاديان التي وضعت لفائدة الانسان وتحسين سلوكه وصلته بالله !

فكرة مؤثرة في حياة الانسان اذ تجعله لا يستبيح ولا يستهتر ، بل عندما يميل الى الخطيئة يذكر في الحال كم كلفت الخطيئة آدم ونسله من التضحيات ! وكيف أنزلت ابن الله من السماء ليتجسد ويموت على الصليب بدلا عن آدم الخاطيء ونسله ! ويذكر ايضا ان الخطيئة مهما غفرت فلها قصاصها في الدنيا • فقد ذكرت التوراة والقرآن والاحاديث خطيئة النبي داود لما زنى بامرأة اوريا وقتل زوجها ليخفي خطيئته فارسل الله اليه نبيا وبخه وأنذره • فلما تاب داود واعترف بخطيئته ، قال له النبي : « والرب قد نقل عنك خطيئتك » • ومع هذا الغفران فان القصاص من جنس العمل الذي انذره به النبي ، وقد وقع عليه كما ورد في التوراة

فترى من هذا ان الغفران يمنع من الهلاك الابدي في جهنم ولكنه لا يمنع من القصاص الدنيوي ليتذوق الانسان مرارة الخطيئة حتى لا يعود اليها

والى ذلك فان ما بذله ابن الله من اجلنا يجعلنا نذكر وندرك مقدار محبة الله لنا اذ بذل ابنه الوحيد لاجلنا فنحبه تعالى كما أحبنا ، ومحبة الله هي الوصية الاولى في الوصايا العشر واذا احببناه تعالى فلا ننكره حبا للمال ! ••

الزواج

تحت هذا العنوان كتب الدكتور نظمي في ص ١٠٩ يقول :
« الزوجة الواحدة أو الزوجات الكثيرات ٠ هذا هو لباب ما يثور حول موضوع الزواج في دين الاسلام فلا بد من وقفة ها هنا لتبين الحقيقة في هذا

« من المسلم به ان الدين لا يقصد به مستوى من البشر دون مستوى ، ولا عصر من العصور دون سائرها ، ولا بيئة من البيئات بعينها ٠ وانما يراد التشريع للكافة وتنظيم حياة البشر من حيث هم كذلك ٠ مع مراعاة فطرتهم السوية ٠٠٠ ولكن مع الاشارة الى ما فوق ذلك من درجات السمو التي لا يبلغ اليها الا الخاصة وأولو العزم من الناس

« وعلاقة المساكنة بين الذكر والانثى هي اساس الاسرة ، وهي تنبعث من غريزة طبيعية ينظمها التشريع، او العرف الاجتماعي ما وسعه التنظيم ، عسى ان يضع حدودا لتلك القوة الحيوية العارمة ترتفع بالانسان فوق مستوى البهيم

« وما من شك في ان نظام الزوجة الواحدة نظام مثالي ، ومن البديهي ايضا الا يطيقه الا المثاليون وخاصة ذوي العزم ؛ وما

لهؤلاء فحسب جعلت هداية الدين »

هذا الخليط من الاقوال التي ينطح بعضها بعضا قد جادت بها قريحة « نظمي » ، وسال بها قلمه ! ولست أدري ماذا يريد الدكتور نظمي ان يقول ؟ ! فهل غلبت عليه مهنة التدريس فأراد أن يقدم للقراء قطعة يريهم فيها روائع المتناقضات ! قطعة تجمع في وقت واحد البناء والهدم ، تحدينا لسليمان الحكيم الذي قال في سفر الجامعة « للبنـاء وقت وللهدم وقت آخر » ! قطعة يبين فيها تقلب المتقلبين وكيف يعترفـون بالحقيقة وفـي الوقت ذاته يندمون ! باطل تركوه فيعود اليه ، كما يقول بطرس الرسـول : « قد اصابهم ما في المثل الصادق : لقد عـاد الكلب الى قيئه ، والخنزيرة المغتسلة الى مراغة الحمأة » (٢ بط ٢ : ٢٢) !

قطعة تجمع بين السمو والانحطاط معـا ! انظروه ، فبينما يقول : « ان الدين يراد به التشريع للكافة لا يقصد به مستوى من البشر دون مستوى .. الخ » نراه ينقلب فيقول : لا بد من مراعاة فطرة الناس السوية ! وكأنه يشعر بخجل من القول بمراعاة الفطرة والغريزة فيسرع الى القول ويشير الى « ما فوق ذلك من درجات السمو التي لا يبلغ اليها الا الخاصة واولو العزم مـن الناس ! »

وفيما يقول : « عسى ان يضع التشريع حدودا لتلك الحيوية العارمة لترتفع بالانسان فوق مستوى البهيم » ، و « ان نظام الزوجة الواحدة الدائمة هو نظام مثالي » ، ينقلب راجعا متقهقرا فيقول : « ومن البديهي ايضا ألا يطيقه الا المثاليون وخاصة ذوي

العزم » ، ثم يعود القهقرى فيقول « وما لهــؤلاء فحسب جعلت هداية الاديان » ! وهــا نحن قد وجدنا في كتــاب نظمي القول الشائع : « مكسور لا تأكل وصحيح لا تكسر ، كل واشبع » !

كما وجدنا في كتابه صورة العجل وصاحبه الذي قيل عنه انه قد ساءه ان يكون عجله « ازعر » بلا ذيل فاشترى من السلخانة او التقط ذيل عجل مذبوح وراح يلصقه بعجله بابرة وخيط ، وحدث ان برطع عجله في الشارع فأراد اللحاق به مستعينا بالمارة وهو يقول : « حلق حوش بس ما تمسكش » خوفا على ذيل العجل يطلع في يد من يمسكه فيعود عجله « ازعر » ! ..

أليس هذا ما يجده القارئ في كتاب نظمـي فيحار معي ويقول : اذا كانت هداية الاديان لا تؤدي بالناس الى السير في طريق التسامي وتقوية العزائم ليكون المتدينون "مثلا عليا لغير المتدينين ، فهل ترجع الهدايــة لمراعاة اصحــاب الحيوية العارمة ليظلوا تحت مستوى البهيم ! !

يقول الدكتور نظمي ممتدحا : « وما من شك في ان نظــام الزوجة الواحدة الدائمة نظام مثالي ومن البديهي ايضا الا يطيقه الا المثاليون وخاصة ذوي العزم » . كما اعترف في صفحة ٦٧ قائلا : « ولهذا لم يستطع السواد الارتقاء الى المستوى الروحي العالي الذي هو مضمون دعوة السيد المسيح » .

وبما نه امتدح المبدأ المسيحي في الزواج ايضا فعلينا ان نزيه ان لا مندوحة من اتباعه لخير العالم والبيت والدنيا والدين ، وقد

فتح نظمي لنا الباب للدخول حين قال : « وعلاقة المساكنة بين الذكر والانثى هو اساس الاسرة »

فنقول نحن ان المسيحية التي أسسها المسيح ، آدم الثاني ، هي الرجوع بالانسان الى حياة البر والطهارة الاولى التي كان عليها آدم وحواء في الفردوس قبل السقوط • ويبدو هذا القصد واضحا من قول السيد المسيح لليهود الذين ارادوا احراجه قائلين: « لماذا أذن موسى ان يُعطى كتاب طلاق ؟ فقال لهم : ن موسى من اجل قساوة قلوبكم اذن لكم ان تطلقوا نساءكم ؛ ولكن في البدء لم يكن هكذا ••• ان الذي خلق ، من البدء خلقهما ذكرا وانثى ، وقال : من أجل هذا يترك الرجل اباه وامه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا » (متى ١٩ : ٣ — ٨)

وهذا أمر طبيعي فطري فقد خلق الله الانسان من البدء رجلا واحدا وامرأة واحدة • وقد قيل في الامثال السائرة : « ان القلب لا يسع اثنين » ، وذلك لان القلب هرمي الشكل فيمكن ان يدخل قلب في قلب ويلبس الواحد الاخر ، ولكن لا يمكن لقلبين ان يدخلا في قلب واحد

والعدالة تقتضي المساواة والتبادل : فحين تعطي المرأة كل قلبها للرجل فعلى الرجل ان يعطيها كل قلبه لا نصفه ولا ثلثه ولا ربعه • والقلب اذا انقسم يجرح ، واذا ُجرح فقد حيويته ؛ وكيف لا ! والرجل اذا أعطى جزءا من قلبه لاخرى كانت المضارة ، والزواج محبة ! وكان الانقسام والنزاع ! واذا ُفقدت المحبة التي

هي ناموس الجاذبية سقط البيت وسقطت العائلة كما يسقط البيت الذي تتفتت حجارته ومبانيه اذا فقدت منه جاذبية الالتصاق

قال بولس الرسول : « ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل ، وكذلك الرجل ليس له تسلط على جسده بل للمرأة » (١ كو ٧ : ٤) وبموجب هذا القانون ليس للمرأة ان تمنح جسدها لرجل اخر غير زوجها ، او تمنع جسدها عن زوجها ، وهكذا الرجل لا يجوز له ان يمنح جسده لامرأة أخرى غير زوجته او يمنع جسده عنها لان المرأة نظير الرجل كما قال الله قديما عند خلق حواء : « اصنع له (لآدم) معينا نظيره »

يقول المزواجون : ان الزواج باكثر من واحدة روعي فيه مصلحة الاناث لان عددهن يزيد على عدد الذكور ، كأنهم عن شفقة بالاناث يتزوجون باكثر من واحدة ، وكان الاحرى بهم ان يشفقوا على شريكة حياتهم واولادهم من المضارة والتشرد !

ان الذين يقولون بهذا يقدحون في حكمة الله الذي خلق من البدء لآدم حواء واحدة ، ولم يحسب حسابا لزيادة الاناث في المستقبل على الذكور ! وكأن الله تعالى كان بحاجة الى هؤلاء المزواجين ليكونوا الى جانبه يوم خلق حواء واحدة ليشيروا عليه بمثنى وثلاث ورباع !

ان القائلين بهذا القول يكذبهم الواقع : فقد نشرت جريدة الاهرام يوم ١٤ مايو سنة ١٩٥٧ تحت عنوان « الذكور والاناث » ما يأتي :

« توصل معهد الاجناس ببرلين الى تحديد نسبة المواليد الاناث الى الذكور في وقت الحرب والسلام . فبلغت في وقت الحرب ٦٤ انثى الى ١٠٠ ولد ، وفي وقت السلم ١٠٢ من البنات الى ١٠٠ ولد »

وهذه اوروبا والامريكتين ومسيحيو اسيا وافريقيا يتزوجون واحدة ، فهل زادت الاناث على الذكور ؟ وهل اشتكت النساء هناك لعدم وجود ذكور ليتزوجن منهم ؟

وهلم بنا ، يا دكتور نظمي ، نستفتي نساء العالم عما هو الافضل لهن : الزواج بواحدة ام باكثر من واحدة ؟ فان وجدت واحدة من مليون منهن توافق على الزواج باكثر من واحدة فتكون من النوع المحايد : فلا هي بالذكر ولا بالانثى !

ما من مرارة تقوم في نفس المرأة اقتل لحياتها وعواطفها من مرارة الضرة والغيرة من التي تزاحمها في زوجها وتقتسم معها قلبه وحبه ومعيشته !

اسمع يا مسلم اكثر من المسلمين ويا أحن من الوالدة على اولادها ! انك غير موفق لانك تكتب هذا الهراء والسخف في وسط ثورة المرأة القائمة الان في مصر ضد الطلاق وضد الزواج باكثر من واحدة ، وما تكتبه الصحف كل يوم من احتجاجات النساء على الطلاق والزواج باكثر من واحدة اقنع دليل :

نشرت الاهرام في ٢٥ من اكتوبر ١٩٥٩ ، مقالا تقدمت به

السيدة زينات الجداوي الى شيخ الازهر بمناسبة عيد الام قالت:
« انها ترى بمناسبة العيد ان يكون احسن هدية تقدم للام فيه ، اصلاح قوانين الاحوال الشخصية • فالهدية المادية الرمزية التي يقدمها الابناء للامهات في هذا العيد ليست كل شيء – بل أهم منها ان تشعر الام بالطمأنينة في حياتها مع زوجها ومع اولادها في بيتها •• ولن يتأتى هذا الا اذا ضمنت وجود قوانين تنصفها وتأخذ لها بحقها ! ! »

كما نشرت الجريدة نفسها في ٢٠ اكتوبر سنة ١٩٥٩ مقالا بقلم نائلة علوية تحت عنوان : « مشكلة تبحث عن حل » قالت :

« انكم تظلمون الاسلام عندما تصرون على تعدد الزوجات وحرية الطلاق »

« لا شك اننا ورثنا عن الماضي السحيق سلوكا معينا قبل المرأة المسلمة ، أهدرت فيه حقوقها ان لم أقل آدميتها »

ونشرت الصحف اخيرا عن اجتماعات للسيدات بهذا الخصوص

فما رأيك يا دكتور نظمي وهؤلاء المسلمات الراقيات المثقفات يشكين مما تمتدحه ؟

اقرأ يا نظمي ما قاله بولس الرسول في (١ تي ٣ : ٢) عن الاسقف ان يكون بلا لوم، بعل امرأة واحدة اذ جعل اللوم يقع اولا على من يكون قد جمع ، قبل تنصُّره ، في حياته الماضية بين

زوجتين معا ، لان من يجمع بين زوجتين معا مثله مثل رجل يجلس على مائدة الطعام ويمسك في كل يد رغيفا ويقضم مـن كل رغيف لقمة ، فيزدريه كل من تقع عينه عليه ويرميه بالشره والنهم وفراغ العين ! وهكذا كل مسيحي يريد ان يتزوج بامرأتين معا يتطبق عليه هذا التشبيه واشد منه !

•

زواج المسلم بالكتابية

كتب الدكتور نظمي لوقا في صفحة ١٢٦ يقول : « لا بد من كلمة اخيرة عن جواز زواج المسلم بالكتابية ــ يهودية كانت ام نصرانية ــ في حين يمتنع العكس ، أي زواج الكتابي ــ يهوديا او نصرانيا ــ بمسلمة »

« فاذا تذكرنا ان الاسلام يعترف باليهودية والنصرانية ولا يجحدهما ، عرفنا انه لا غضاضة على الزوجة الكتابية في الاحتفاظ بدينها وهي زوج للرجل المسلم ،ولكن اليهود والنصارى جرى تقدير رجال الدين عندهم على انكار الاسلام ، فتكون المسلمة غير آمنة على دينها في كنف الكتابي ، وليست المسألة اذن مسألة عصبية او تحيز في كثير أو قليل »

هذا ما كتبه الدكتور نظمي ! ..

ونحن نرد على هذه وسخافاته فنقول : اذا كان الاسلام يعترف باليهودية والنصرانية ولا يجحدهما كما تقول ، يا فيلسوف آخر الزمان ، واذا كان الاعتراف وعدم الجحود هو عين الايمان كما ورد في القرآن في سورة العنكبوت : « ومن هؤلاء من

يؤمنون وما يجحد بآياتنا الا الكافرون » فلماذا لا تكون المسلمة آمنة على دينهـا في كنف الكتابي ما دام دينهـا لا يجحد ديـن الكتابي ؟ !

واذا كان القرآن يقول صريحا في سورة البقرة: «لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن"، ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو اعجبتكم، ولا "تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم ، اولئك يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة والمغفرة باذنه »

واذا كان المسلم يتزوج بالكتابية ــ يهودية او مسيحية ــ لكونها غير مشركة ، والاسلام ، كـما قلت ، يعترف بدينهـا ولا يجحده ! فلماذا لا يتزوج الكتابي بالمسلمة كمـا تزوج المسلـم بالكتابية اخت الكتابي ؟ !

وما دام القرآن لم يحرم على المسلم والمسلمة الا الزواج بالمشرك والمشركة ولم يذكر القرآن السبب الذي يذكره الدكتور نظمي اذ يقول : ان المسلمة غير آمنة على دينها في كنف الكتابي ، بل ذكر القرآن سببا واحدا في عدم زواج المشرك والمشركة وهو ان المشركين يدعون الى النار والله يدعو الى الجنة ، والكتابيون يدعون الى الجنة ايضا

اذن يظل السؤال قائما : لماذا لا يتزوج الكتابي بالمسلمة رغم انف نظمي الذي يقول : « ان المسألة ليست عصبية او تحيزا في كثير او قليل ؟ »

فالمسلمون ، يا دكتور نظمي ، يا اللي انت لسه مسيحي ، حين لا يزوجون بناتهم للكتابي لا يستندون الى قرآنهم ، أما المسيحيون الذين لا يزوجون ولا يتزوجون بغير مسيحي او مسيحية فيستندون الى كتابهم القائل : « ان تتزوج في الرب » (١ كو ٧ : ٣٩) ؛ كما ان عقد الزواج يعقد باسم المسيح ، والزواج المسيحي يمثل اتحاد المسيح بالكنيسة كقول الرسول : « ان الرجل رأس المرأة كما ان المسيح رأس الكنيسة — ايها الرجال احبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة واسلم نفسه لاجلها ؛ ان هذا السر لعظيم ! اقول ذلك بالنسبة الى المسيح والكنيسة » (أف ٥ : ٢٣ — ٣٣)

وهذا لا يعترف به المسلم ولا يسلم به !

•

لا قيصر !..

تحت هذا العنوان كتب الدكتور نظمي في صفحة ١٢٧ يقول:

« اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ! عالم مقسوم : شطره لله وشطره لقيصر ! عالم مقسوم : شطره للقلب والروح وشطره للحس والبدن ! عالم مقسوم: شطره للدين وشطره للدنيا ! عالم مقسوم : وعلى المرء ان يختار شطرا منه ويتخلى عن شطر ، ويجعل بينه وبين الشطر المتروك سدا من عداء او سدا من اذعان سلبي هو كالعداء سواء بسواء

« تلك دعوة السيد الناصري » ! !

هذا ما يدعيه الدكتور نظمي لوقا ! !

فلقد كتب كتّاب العالم على اختلاف اديانهم عن السيد المسيح وطالما استعملوا هذه الآية : « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » في كتاباتهم وتعبيراتهم ؛ وقد فسر المفسرون للاناجيل هذه الآية ، فلم نسمع ولا قرأ احدنا لاي من الكتّاب والمفسرين شيئا مما افتراه نظمي لوقا ، حفيد القسوس ، على هذه الآية الكريمة ! وها الكتب المسيحية والاسلامية والكفرية فليفتشها

نظمي لوقا فيرى هل حمل احد هذه الاية ما حملها هو ؟ هل قال احد ان قول السيد المسيح « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » معناه شطر العالم شطرين : شطرا لقيصر وشطرا لله ، شطرا للقلب وشطرا للحس والبدن ، شطرا للدين وشطرا للدنيا ، وجعل سدًا من عداء بين شطر وشطر ؟ !

وهذه تفاسير المسيحيين على اختلاف مذاهبهم لهذه الآية : « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله »لا يُشتم منها رائحة لشبه ما افتراه نظمي لوقا ، بل اجمع كل المفسرين على تفسيرها بحسب سياق الكلام والمناسبة التي قالها فيها السيد المسيح ، والسياق من اهم قواعد التفسير

وهذه هي المناسبة : راقبوه وارسلوا جواسيس يتراءون انهم ابرار لكي يمسكوه بكلمة حتى يسلموه الى حكم الوالي وسلطانه . فسألوه قائلين : يا معلم ، نعلم انك بالاستقامة تكلم وتعلّم ولا تحابي الوجوه بل بالحق تعلم طريق الله . قل لنا : أيجوز ان نعطي الجزية لقيصر ام لا ؟ فادرك مكرهم فقال لهم : لماذا تجربونني ؟ أروني دينارا . لمن الصورة والكتابة ؟ قالوا : لقيصر . فقال لهم : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فلم يقدروا ان يمسكوه بكلمة قدام الشعب . وتعجبوا من جوابه وسكتوا (لو ٢ : ٢٠ ــ ٢٦)

هذا هو السياق الذي ساق فيه السيد المسيح قوله هذا ! هذا القول الحكيم الذي قطع به السيد شباك الاعداء وكسر

فخاخهم وحطم مصائدهم ! هذا القول الحكيم الذي جعل خصومه يعجزون عن ان يمسكوه بكلمة بل تعجبوا من جوابه وسكتوا

اما نظمي لوقا المسيحي فلم يعجبه العجب ولا الصوم في رجب ! حول العجب الى اتهام وتشنيع !

بل هوذا الكتاب المسلمون لا تخلو مقالة من مقالاتهم في الكتب والصحف من ذكر هذه الآية الحكيمة : « اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله ! » كلما ارادوا التعبير الدقيق عن وجوب اعطاء كل ذي حق حقه ! اما نظمي لوقا المتمسلم المتأرجح بين الاسلام والمسيحية فيتخذ من حكمة الله التي ظهرت في المسيح واقواله سموما ينفثها وتشنعات يشهرها

ولكن لا عجب فله مثيل في مخلوقات الله . فقد قيل ان هناك نوعا من الهوام يدعى العناكب تدخل الى الحقول والبساتين كما يدخل النحل وتمتص الندى من على الزهر كما يقطفه النحل ، ولكن النحل يحوّل ما يمتصه من الندى الى شهد شهي واما العناكب فتحوله الى حمى سامة ! فمن لم تقع عينه على فعل العناكب يكفيه ان يراها في نظمي وما ينفثه من حمى في كتابه !

فلو كان المسيح له المجد قد جعل من حكمته البالغة هذه دعاية لشطر العالم ووضع سد منيع بين الدين والدنيا لما كان اتباعه الذين يؤمنون باسمه ويعتنقون مبادئه كما تراهم ويراهم الناس اجمع انهم سادة العالم ، امسكوا بناصية الدنيا والدين ! امسكوا بناصية الدنيا من ثروة وعلم واختراع واكتشاف

وامسكوا بناصية الدين من آداب واخلاق ورحمة واحسان ؛ نشروا الدين وسط الوثنيين والمتوحشين ، واعترف لهم نظمي بانهم هم الناضجون اصحاب السمو والمثل العليا !

ولست اريد ان اناقشك في تعقيبك ولا اريد ان الفت النظر الى ثورتك على كل سلطة تمثلها لفظة قيصر ! واترك هذا للايام التـي سوف تكشف عنـك او تتكشف انت « وليس خفـي الا وسيظهر !

•

مع الله

كتب الدكتور نظمي تحت هذا العنوان في صفحة ١٤٩ يقول: « لا هياكل بعد اليوم ، ولا كهانة بعد اليوم ، ولا وسطاء بين الله والانسان بعد اليوم ••• الخ »

وكان بودنا ان نترك نظمي لله ومنه لله كما نترك من يتظاهرون ويتلاعبون بالصلاة والتدين والغيرة على الاديان والدفاع عنها لاغراض لا تلبث طويلا حتى يكتشف الناس نواياهم كما قال السيد المسيح « ليس خفي الا وسيظهر »

لولا ان نظمي هذا اخذ يذري التراب الذي يلعب فيه في جونا المسيحي ، فترانا مضطرين ان نتعرض له لا بمدفع لئلا يظن انه بطل من ابطال التاريخ بل نكتفي ان نسلط عليه خرطوشا من الماء لا ليبلل ملابسه ولكن ليمنع ثورة التراب الذي يعبث به ويثيره !

يقول نظمي : « لا هياكل بعد اليوم ولا كهانة بعد اليوم، ولا وسطاء بين الله والانسان بعد اليوم ••• »

وهنا نسأله : بعد أي يوم ؟ هل بعد يوم محمد ؟ ام بعد ان

اصدرت امرك في مرسومك الملكي ؟ فان قلت : بعد ان جاء محمد؟ كذب الواقع اقوالك • فهوذا الهيكل والكنائس قد انتشرت في كل اقطار المسكونة مئات الاضعاف عما كانت عليه زمن محمد !

وهوذا الكهنة تراهم منتشرين في كل اصقاع العالم يباشرون خدمتهم وتبشيرهم في جميع جنبات العالم ، وها جدك والد امك رأته عيناك كاهنا يكهن ووسيطا يتوسط بين الخطأة يقربهم الى الله بوعظه وتعليمه

بل وما رأيك في المعابد والجوامع والمصالي الاسلامية المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، يجتمع فيها المسلمون كل يوم وبالاخص يوم الجمعة ؟ !

وما رأيك في امثال الكهنة والوسطاء عند المسلمين وفي الجوامع وانت ترى ، واذنك تسمع ، ويدك تلمس وتصافح في جوامع المسلمين الامام الذي يأتم به المسلمون ويصلي بالمسلمين ، ويتقدم المسلمين في الصلاة ، ويسمعون لوعظه وارشاده ، ويحضهم على التوبة والرجوع الى الله تعالى • اسمع ما جاء في حديث البخاري (الجزء الاول) : « انما جعل الامام ليؤتم به فاذا كبر فكبروا ، واذا ركع فاركعوا ، واذا سجد ف
قائما فصلوا قياما »

أفتصلي في الجامع وتأتم بالامام وتستمع لوعظه وارشاده وتنكر علينا كنائسنا التي معناها الجامعة او الجامع الذي يجتمع فيه المؤمنون للصلاة ؟ !

تقول انك تعتقد ان المسيح نقض الكهانة ، ولم يرد في نصوص اقواله ما يبرر قيام كهنوت ، فمن أين أتيت بهذا الادعاء والمسيح نفسه قد دعي رئيس كهنة العهد الجديد كما ورد في رسالة بولس الى العبرانيين (٧ : ٢١ - ٢٦) : « واولئك كانوا كهنة كثيرين لان الموت كان يحول دون بقائهم ، واما هو (أي المسيح) فمن اجل ان يبقى الى الابد له كهنوت لا يزول ... فلذلك هو الحبر الذي كان يلائمنا حبر قدوس ، زكي ، بلا عيب ، قد انفصل عن الخطأة وصار اعلى من السموات » . وايضا : « اعلنه الله رئيس كهنة على رتبة ملكي صادق » (عب ٥ : ١٠)

وقال بطرس الرسول : « كونوا انتم ايضا مبنيين كحجارة روحية بيتا روحيا كهنوتا مقدسا لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح ... واما انتم فجيل مختار ، كهنوت ملوكي ، امة مقدسة وشعب مقتنى » (١ بط ٢ : ٥ و٩) وقول صاحب الرؤيا : « يسوع المسيح الذي احبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكا وكهنة لله ابيه له المجد والسلطان الى الابد امين » (رؤ ١ : ٦) ؛ وقوله : « وسيكونون كهنة لله والمسيح » (رؤ ٢٠ : ٦)

فاذا كان المسيح هو رئيس كهنة العهد الجديد فكيف ينقض الكهنوت الذي جعل نفسه رئيسا له ؟ وهل يكون رئيسا لغير مرؤوسين ؟

اسمع يا نظمي ان وجود القسوس او الكهنة او المرشدين

او الائمة ليس من اختراع المسيحيين انما هو من وضع السيد المسيح كما انذر كهنة اليهود ورؤساءهم بانه سوف ينزع الكرمة (أي الكنيسة) من ايديهم ويسلمها لآخرين يأتون بثمارها (١١ متى ٢١ : ٣٣ — ٤٣) وهكذا فعل يسوع اذ اقام اثني عشر رسولا وسبعين آخرين وارسلهم الى كل العالم معلمين ومبشرين (متى ١٠ : ١ — ٢٣ ، ولو ١٠ : ١ — ١٢ ، ومتى ٢٨ : ٢٩ و٢٠)

وكذلك فعل رسل ربنا يسوع: فبولس يقول لتلميذه تيطس: « من اجل ذلك تركتك في كريت لكي تكمل الامور الناقصة وتقيم في كل مدينة شيوخا (تي ١ : ٥ — ٩) ؛ وورد في سفر الاعمال (١١ : ٢٣) قوله : « وانتخبا لهم قسوسا في كل كنيسة » • وبولس استدعى قسوس الكنيسة (ا ع ٢٠ : ١٧) وقوله : « اما الشيوخ المدبرون حسنا فليحسبوا اهلا لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة » (١ تي ٥ : ١٧) ؛ ويقول يعقوب الرسول : « أمرض احد بينكم فليدع قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بالزيت باسم الرب ؛ وصلاة الايمان تشفي المريض ، والرب يقيمه، وان كان قد فعلخطيئة تغفر له» (يع ٥ : ١٣ — ١٥)

فماذا تقول يا نظمي ؟ !

•

لا ادعاء

كتب نظمي تحت هذا العنوان في صفحة ١٦٨ يقول : « من لم يكن صادقا في دعواه فهو دعي ••• وتجتمع اعراض الادعاء في انتحال صفة أو قدرة او حق ليس للمرء حقيقته • وما كذلك كان ابو القاسم • فلم يدع لنفسه قدرة او صفة او حقا يستعلي بهما على احد او يرتب لنفسه بها سلطانا او تقديما ••• الى اخر ما كتب مدحا في محمد

وكنا لا نريد ان نعترض للدكتور نظمي في مجال مدحه محمد والتغزل فيه لاننا لسنا ممن يغضب او يحزن، او يحسد الغير على مديح يناله لاننا كمسيحيين نفرح مع الفرحين ونحزن مع الحزانى ! ولكن الدكتور نظمي اعتاد في كتابه هذا ان يتخذ من مديح محمد فرصة للغمز واللمز في السيد المسيح والمسيحيين ، فيغمز في المسيح كأنه هو الذي انتحل لنفسه صفة وقدرة وحقا استعلى به على سائر البشر ، ويغمز في المسيحيين لانهم آمنوا بالمسيح كاله وابن الله وعبدوه ، ولا يزالون يعبدونه الى هذا اليوم •

فليسمع الدكتور نظمي ويتأدب امام جلال المسيح الذي لم

يدّعِ شيئاً ليس له ، ولا استعلى على احد لانه هو الذي قال « تعالوا الي يا جميع المتعبين والثقيلي الاحمال وانا اريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني فاني وديع ومتواضع القلب » (متى ١١: ٢٨ و٢٩) . وهو الذي ، مع كونه ابن الله ، فقد غسل ارجل تلاميذه ليلة آلامه وقال لهم « مثالا اعطيتكم »

فهو تمجد اسمه لم يدع لنفسه شيئاً ليس له وانما دعته كتب الاديان الثلاثة الها وربا وروح الله وكلمته كما مر الكلام عن لاهوته

ولما قال عن نفسه انه ابن الله فقد برهن قوله هذا بما صنع من آيات وعجائب ومعجزات باهرة

●

وكتب الدكتور نظمي لوقا في صفحة ١٦٩ يقول : « لا دعوى ولا ادعاء ولا مظاهرة من الخوارق والبوارق وانما الهداية الى ما تطمئن به النفس وتستريح اليه العقل »

وظاهر بوضوح من هذا الكلام الغمز في المسيح الذي جاء بالعجائب الظاهرة للعيان والملموسة بالايادي ، جاء بالخوارق التي لم يسبق لها في العالم نظير فاستهوى الناس الى ديانته التي « لا تطمئن اليها النفوس ولا تستريح اليها العقول » ! هذا ما يغمز به نظمي لوقا في سيده يسوع وهو في غمزه هذا يطعن في الله تعالى ، الذي ظهر في المسيح يسوع وصنع الآيات والعجائب كما يشهد القرآن في سورة آل عمران : « ورسولا الى بني اسرائيل اني

قد جئتكم بآية من ربكم ، اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله »

فهل يعيب نظمي على المسيح مظاهرة الآيات والمعجزات له ام يعيب ذلك على الله تعالى الذي يشهد القرآن بانها كانت باذنه ؟!

وقد استوفينا الكلام في ما تقدم عما اذا كانت ديانة المسيح دون ديانة محمد في اطمئنان النفس وراحة العقل ، وحسب المكابر ان يفتح عينيه ومغاليق بصيرته اذا كان له عين ترى، وبصيرة تدرك!

الجهاد الاكبر جهاد النفس

وكتب الدكتور نظمي تحت هذا العنوان في الصفحة ١٧٨ يقول عن محمد « يطريه اصحابه بالحق الذي يعلمون عنه فيقول لهم : لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، انما انا عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله »

انتقل الدكتور من الغمز السري الى الهجوم العلني والمقابلة المكشوفة بين محمد والمسيح ، بما كتب هنا مؤيدا لما قلناه عنه انه لا يجد ما يتمدح به محمداً الا اذا افترى على سيده يسوع المسيح ! فظن ان مثل هذه المقارنة تحقر المسيح فجاء العكس

فمحمد عندما رفض اطراء اتباعه قرر حقيقة نفسه انه مجرد عبد ورسول • اما المسيح له المجد فلم يطره اصحابه وحسب بل اطراه القرآن حين دعاه « روح الله وكلمته » ، وحين دعاه بالخالق الذي يخلق من الطين كهيئة الطير وينفخ فيه ، كما نفخ قديما في آدم بعدما خلقه من طين فصار نفسا حية ! اطراه حديث البخاري عندما قال محمد عنه انه الوحيد الذي لم يستطع الشيطان ان يمسه دون بني آدم كلهم! اطراه الحديث حين قال انه سينزل عندما تأتي الساعة ديانا للاحياء والاموات •

وفي معرض المقارنة بين المسيح ومحمد يقول في الصفحة ١٧٩ عن محمد :

« ويمرض المريض من ادنى الناس فيعوده ، وقد يدعوه عبد او مسكين الى طعام فلا يمتنع ، ويداعب الاطفال من ابناء تابعيه واصحابه ويجلسهم في حجره »

ونحن نقول لنظمي : وهل كـان المسيح على خلاف ذلك ؟ وانما كان اكثر من زائر للمرضى فلم يكتف بزيارة المرضى ومؤاساتهم بكلمات تنتهي معها المؤاساة بعد خروج الزائر ، فانه تمجد اسمه كان يجول ليوزع المراحم والشفـاء على المرضى ، والخلاص من الشياطين ، والاقامة من الموت ، وتفتيح اعين العميان من الصباح الى ما بعد الغروب كل يوم ، حتى قيـل ان عجائبه ومعجزاته لو كتبت واحدة فواحدة لا تسعها الكتب ؟

وهل كان المسيح يترفع عن العبد والمسكين فلا يأكل معهم ؟ اما دعاه الفريسي فأكل معه ودعـاه العشار فأكل مـع العشارين والخطأة حتى قال عنه اعداؤه من رؤساء اليهـود : « انه محب للعشارين والخطأة »

وهل تستطيع ان تذكر للمسيح حادثة واحدة استهان فيها بفقير او مسكين او مريض او سائل يسأله ؟

اسمع يا نظمي : كما ان المسيح كان الوحيد الاوحد والمفرد العلم وسط البشرية جمعاء ــ كما شهد حديث البخاري ــ الذي

لم يمسه الشيطان ، هكذا كان هو الوحيد الاوحد الذي قال وفعل : « من يقبل الي فلا اخرجه خارجا »

اما محمد فمع كل الحسنات والصفات التي ذكرتها له فقد جاءه مرة الاعمى فعبس في وجهه ؛ واسمع ما قيل بعدد هذا : جاء في سورة عبس : « عبس وتولى ان جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى، اما من استغنى فأنت له تصدى، وما عليك الا يزكى ، واما من جاءك يسعى ، وهو يخشى فانت عنه تلهى » وقال الامام البيضاوي في تفسيرها : روي ان ابن مكتوم أتى رسول الله (صلعم) وعنده صناديد قريش يدعوهم الى الاسلام . فقال : يا رسول الله علمني مما علمك الله ؛ وكرر ذلك ولم يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله (صلعم) قطعه لكلامه ، وعبس واعرض عنه فنزلت ، فكان رسول الله (صلعم) يكرمه ويقول اذا رآه : مرحبا بمن عاتبني فيه ربي (البخاري الجزء الخامس)

وهل كان المسيح اقل عطفا ومحبة وحنانا على الاطفال أما قرأت يا نظمي ما قاله له المجد عن الاطفال : « ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ١٨ : ٣)

ولما انتهر تلاميذه الاطفال حين تقدموا اليه ، قال يسوع للتلاميذ : « دعوا الاولاد يأتون الي ولا تمنعوهم لان لمثل هؤلاء ملكوت السموات . ووضع يديه عليهم » (متى ١٩ : ١٣)

أما تقبل يسوع التسبيح من الاطفال عندما دخل الى اورشليم في احتفال عظيم فلما غضب الكهنة وطلبوا اليه ان ينتهرهم ، أجابهم قائلا : « اما قرأتم قط انه من افواه الاطفال والرضع هيأت تسبيحا » (متى ٢١ : ٢٥ و ٢٦)

وزهدك يا محمد

كتب الدكتور نظمي تحت هذا العنوان في الصفحة ١٨٣ يقول : « زهدك وقد أحلت لامتك الطيبات ، وحببت اليك ؟ ، وهذه ام سلمة زوجتك تصف ما وجدته في دارك ليلة عرسها : — نظرت فاذا جرة فيها شيء من شعير ، واذا رحى وبرمة وقدر وكعب ، فأخذت ذلك الشعير فطحنته ، ثم عصدت البرمة وأخذت الكعب فأدمته ، فكان ذلك طعام رسول الله (صلعم) وطعام أهله ليلة عرسه !

« وكل كلام بعد هذا الوصف الساذج الصادق فضول غث في التعليق على زهد الرجل الذي لم يؤت أحد في زمانه سلطانا على اصحابه كما أوتي ، لولا انه يرى برهان ربه رأي العيان ، فتصغر في عينه الدنيا وما فيها ... ويؤثر على نفسه ولو به خصاصة ، ويؤثر على آله ولو بهم خصاصة ، ولا يدخر لغده شيئا ...

«لهذا كان ينام على حشية من ليف ، ولم يبلغ من طعام حد الشبع ، ولم يطعم خبز الشعير يومين متواليين ، وجعل طعامه

التمر • لا يتفق له ولآله أكل الثريد كثيرا • وكم من مرة ربط على بطنه حجرا ليقاوم الجوع حين يشتد عليه •

وهذه عائشة أصغر ازواجه وآثرهن لديه بعد خديجة تصف طعام زوجها العظيم الذي لم يؤت كسرى ولا قيصر مثل سلطانه على قومه :

« لم يأكل النبي خبزا مرققا ولا أكل خبزا نقيا • وقد جاءت اليه فاطمة ابنته يوما بكسرة خبز فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ قالت : ــ قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة • فقال (صلعم) : اما انه اول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة ايام ! »

هذا ما كتبه الدكتور نظمي عن زهد محمد وتقشفه أضعه امــام القراء

كما أضع امام القراء ايضا ما كتبه هو بعينه في الصفحات ٦٦ و ٦٧ و ٧٩ والله اسأل ان يلطف بعقول القراء مما يقرأون !

قال نظمي « لهذا بقيت المسيحية في حقيقتها دين قلــة من الافراد ميسرين لها ، وكانت نتيجتها المنطقية تلك الرهبانية المنعزلة عن الدنيا • اما السواد مــن الناس فلم يستطع الارتقــاع الى المستوى الروحي العالي الذي هو مضمون دعوة السيد المسيح • ولم يسلموا ــ لتعلق قلوبهم بالدنيا وغشيان المادة وسلطانها على تفكيرهم •••

ولم يزل الناس بحاجة اذن الى عقيدة جديدة يجتمع اليها العقل والقلب جميعا ، وتصحح ما ترددوا فيه من الاخطاء في تفهم ما سبق من عقائد ورسالات »

الى ان قال في صفحة ١٢٨ : « ذاك نصيب من نفضوا من الدنيا ايديهم بل ونفضوا ترابها من نعالهم وسلكوا الى ربهم مرتقى عسيرا الا على من يسرهم المولى له • وهم قلة نادرة بين العالمين • اما سواد البشر وهم ملايين ومئات ملايين فلا هم قادرون على الانسلاخ من الدنيا التي تضج في دمائهم قبل ان تضج فيما حولهم من المغريات والمقيمات المقعدات ، ولا هم قادرون ازاء هذه الدعوة ان يقبلوا على الدنيا بقلب سليم وعزم مقيم • وانما هو انفصام • وانما هو التعلق بين الارض والسماء عاجزين عن اليقين، حيارى فما لهم من قرار

« اعز مكان في هذه الدنيا اذن دير من الديور او صومعة مفردة من مفازة بيداء لا يطرقها طارق ، ولا ينعق فيها ناعق ... وما كل امرء بقادر على ان يكون راهبا في دير او ناسكا في صومعة • ولو قدر كل انسان على ذلك لاضمحلت الحياة وباد منها بنو آدم وورثها من الوحش وخشاش الارض الوارثون »

أينقذ العالم من خطر التقشف بالتقشف ؟

لقد جعلت يا دكتور نظمي من نفسك سهما مصوبا الى صدور المسيحيين ، فطاش هذا السهم مرتدا الى صدور المصريين عموما وقد صفق بعضهم لكتابك الذي احتوى المتناقضات –

الشيء وضده – ويا خوفي لو ترجم كتابك الى لغات اجنبية كما اشيع ، فيطلع العالم على مبلغ عقليتنا وكيف صفقنا لكاتب تصفع مقدمته مؤخرته ! ويُثبت الشيء وينفيه ، ويأتي بالدواء للعلاج فاذا به يساعد على ازدياد الداء

فهلموا يا مواطنون واحكموا على هذا المهذار قبل ان يحكم العالم الخارجي علينا بضعف العقل والحكم !

هلموا واسمعوا الامام الجديد الدكتور لوقا كيف يهزأ بعقليتكم مرة ومرات ! انظروه في كل مرة ينعى على المسيحية عقيدة من عقائدها ويعقب عليها بانها عقيدة ضارة معطلة وان العالم كان بحاجة الى ديانة محمد لتصلح أو تصحح او تدرأ الخطر الناجم عن تعاليم المسيحية !

وفي هذه المرة : نعى على الديانة المسيحية مبادئها المثالية التي لا يبلغ اليها الا أولو العزم كما يقول • ونعى على هذه المبادىء المثالية نتائجها التي هي الزهد والتقشف والرهبنة والانزواء في المفازات والمغائر الامر الذي قال عنه انه « هدد العالم بالفناء والارض بالخلو من بني آدم » ! وان الله سبحانه وتعالى ارسل محمداً لانقاذ العالم من الهلاك المحقق هلاك الزهد والتقشف واماتة الجسد وحرمانه من اللذات باباحة التمتع بالطيبات ! !

واذا بالدكتور نظمي نفسه وبعينه وبلا تغير او تبدبل في

شخصه ، يصور لنا منقذ العالم من شر الرهبنة والزهد والتقشف في صورة لم يسبق لها نظير في اديرة الرهبان ومفازات المتعبدين !

صور محمدا رسول الانقاذ من شر الرهبنة فاذا به يرينا محمدا – وقد ضرب الرهبان على عيونهم وأظهر عجزهم عن بلوغ درجات التقشف – صور لنا محمدا يتحنث في الغار في تقشف قاتل ومميت !

يرينا تقشف محمد حتى في ليلة زفافه ! ليلة عرسه ! يرينا عروسه سلمة لا تجد الا القليل مـن الشعير فتقوم « والحنة في يديها » ، على حد القـول ، فتطحن الشعير على الرحى وتعصد الشعير وتضعه في الكعب بدلا عن كعكة الفرح !

يصور لنا محمدا نائما على حشية من ليف ! يصوره لنا رابطا حجرا على بطنه ليقاوم الجوع وقد اشتد عليه ! يصوره وتحت يده ملك ليس لكسرى او قيصر ، ومع ذلك لم يطعم خبز الشعير يومين متواليين ! ولا اتفق له أكل الثريد كثيرا ، ولا خبزا مرققا ولا نقيا !

يصوره لنا وقد جاءت اليه ابنته فاطمة بكسرة من قرص فقال لها انه اول طعام دخل في فمه منذ ثلاثة ايام !

إذن يا نظمي على مَ كان هذا الانقلاب فـي العالم وعلى مَ كانت الضجة وقيام دين بعد المسيحية ؟ اذا كان محمد يحيا حياة الزهد والتقشف المميت للجسد ! ! فلو قلت يا نظمي ان تقشفه كان قبل النبوة ليتلقى الوحي من ربه لكان الامر معقولا ومحتملا

اما وانه يتقشف وله زوجات تسع ويمر عليهن جميعـا في الليلة الواحدة كما يحدثنا البخاري ، فهل يتفق هذا مع ذاك وانت وانا نعلم علم اليقين ما للزوجة من حق وجب على الزوج ألا يسلبه ، كما يقول بولس الرسول : « ليوف الرجل المرأة حقهـا الواجب وكذلك المرأة ايضا الرجل ، ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل ، وكذلك الرجل ايضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة. لا يسلب أحدكم الاخر الا ان يكـون على موافقة الى حين لكي تتفرغوا للصوم والصلاة ثم تجتمعوا ايضا معـا لكي لا يجربكم الشيطان بسبب عدم تزهدكم » (١ كو ٧ : ٣ ــ ٥)

•

سهم طائش !..

لا بد قبل نفض القلم من هذا الرد ــ وقد فتح نظمي بــاب الموازنة بين المسيح ومحمد ، وما كان نزيها في المقارنة اذ قادت قلمه الطائش مآرب حقيرة او كان اداة في يد ينفذ مراميها فــي غضاضة وخنوع ــ لا بد اذن من كلمة موازنة صريحة نزيهة نستمد جميع عناصرها من القرآن نفسه • ولا عتب علينا ونظمي المتمسلم كان البادىء بالظلم ، والبادىء بالظلم احرى باللوم واولى •

ان السيد المسيح ، بحسب معطيات القرآن ، هو آية الآيات في مولده وحداثته ، وفي حياته ورسالته ، وفــي آخرتــه ويوم الدين ، وفي شخصيته من جميع وجوهها ونواحيها بحيث يسمو على جميع الانبياء والمرسلين بما فيهم محمد نفسه ، سمواً يرتد عنه الطرف وهو كليل •

١ ــ المسيح آية في مولده وطفولته :

انه وحده في الناس طرّاً تحبل به امه وتلده بقوة الله وتلبث بتولا عذراء • يوافيها الملائكة ليبشروها « بالغلام الزكي » الطاهر، الصالح منذ قبل مولده بحيث لا يحتاج بعد ميلاده الى تطهير •

وتحيط الخوارق بهذا الميلاد الخارق هالة لألاءة: فالله يطعم مريم من نخلة يابسة ويسقيها من نهر سري جاف « ويؤويها مع ابنها الى ربوة ذات قرار ومعين » والولد يتكلم للحال في المهد ويؤتى النبوة مع تأييد الروح القدس طفلا وكهلا •

علمه الله « الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل » فتجتمع له جميع انواع الوحي ؛ ويجترح المعجزات طفلا حتى معجزة الخلق (سورة مريم وآل عمران والانبياء والمؤمنون والتحريم والنساء ، والمفسرون جميعا) •

فقل يا نظمي هل قال القرآن شيئا من ذلك في نبي من الانبياء ولاسيما محمد ؟ ! •••

٢ ـ وهو آية في رسالته وحياته •

قلّب صفحات القرآن ، يا دكتور ، وتأمّل في ما يقوله عن المسيح بالاضافة الى قيامه برسالته السامية ، وفتش ما استطعت لترى هل ينعت غيره بما نعته به : انه وحده يؤيده الله بالروح القدس : « وآتينا عيسى ابن مريم البينـات ، وايدنـاه بروح القدس » •

يقوه هذا الروح « يكلم الناس في المهد وكهلا » ، ويعلم الغيب ، ويصنع المعجزات الباهرة ، ويستوعب جميع كتب الوحي ، ويولد نبيا ، ويظل الحياة كلها عاكفا على نشر التوحيد بالحكمة ،

ويوفق بين البشر في ما اختلفوا فيه (بقرة ، مائدة ، مريم ، آل عمران ، زخرف).

وحدها رسالة المسيح قامت على تأييد الروح القدس ؛ ووحدها ترافقها المعجزات البينات في جميع مراحلها . وهذا الاطار المشرق هل هو الا دليل ، بشهادة القرآن نفسه ، على سموها فوق جميع الرسالات بدون استثناء البتة ؟ . . .

٣ — وهو آية في آخرته

يشهد القرآن للمسيح بانه كما دخل العالم بمعجزة فريدة في تاريخ البشر طرا خرج منه ايضا بمعجزة فريدة لا مثيل لها في تاريخ الانبياء اجمعين .

فسواء مات المسيح ام لم يمت فانه ارتفع حيا الى السماء ، ولا يزال حيا فيها عند الله الى قيام الساعة (آل عمران ٥٥) . وليعلم المصرون على انه لم يمت ان معجزة ارتفاعه حيا الى السماء، بدون ان يبسط عليه الموت ولو ظلا من سلطانه الشامل كما كان له ملء السلطان على سائر الانبياء والمرسلين ، هي اعجب واعظم في جانب المسيح من موته وقيامته وصعوده (آل عمران ، نساء) .

فهل شهد القرآن لغير المسيح من الانبياء والمرسلين ، ومن جملتهم محمد نفسه ، بأنه اقوى من الموت ، وليس للموت عليه أي سلطان . اولم يقل القرآن عن آخرة محمد : « وما محمد الا رسول خلت من قبله الرسل : أفان مات او قتل انقلبتم على

اعقابكم » ؟ اولم يقل ايضا عن مصير محمد: «عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا » فيما يجزم ثلاث مرات بان الله رفع المسيح اليه حيا ؟ ! ...

٤ — والمسيح آية في يوم الدين

المسيح وحده يسند اليه القرآن دورا فريدا في نهاية العالم ويوم الدين : انه « عَلَم الساعة » ولفظ « الساعة » مرادف ليوم الدين .

ومعنى ذلك ان ظهور السيد المسيح ثانية على الارض هو علامة لقرب وقوع اليوم الاخر ، بل هو شرط من شروط قيام يوم الدين ، وذكر ومعرفة له . فهذا الدور الذي سيقوم به المسيح في يوم الدين هو ميزة وخارقة معا : ميزة اذ يكون ظهوره « علما » للساعة ؛ وخارقة اذ يعود الى العالم ثانية عندما يقرر الله طي صحيفة الازمان (زخرف) .

ففي مَن من الانبياء قال القرآن ما قاله في المسيح ؟

والى ذلك فالقرآن يشهد ايضا بان المسيح « وجيه » أي شفيع في يوم الدين . ولا يسند شيئا من الشفاعة الى أي من الانبياء والمرسلين ، حتى « الى خاتمة النبيين » ؛ بل يسلخها عن محمد في الدنيا اذ يقول له : « استغفر لهم او لا تستغفر لهم : ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ... » (توبة) ؛ ويسلخها عنه في الاخرة : « أفأنت تنقذ من في النار ! » (زمر) .

اما في المسيح فيقول: «ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى وجيها في الدنيا والآخرة، ومن المقربين » (آل عمران) ؛ وقد اجمع المفسرون على ان وجاهة الاخرة الشفاعة ؛ واذن فالمسيح شفيع في الدنيا وفي يوم الدين .

فتأمل يا نظمي ! ان القرآن يخص المسيح وحده دون سائر الانبياء والمرسلين بهذه الميزة السامية ، ويجعله آية في الاخرة كما جعله آية في مولده وفي حداثته ورسالته ، انه « آية العالمين » .

٥ ــ والمسيح آية في قداسته وكماله

القرآن يصم بوصمة الخطيئة جميع الانبياء والمرسلين من آدم الى محمد مرورا بابراهيم وداود ، ولا يستثني منهم احدا الا المسيح وحده .

يقول عن محمد في حداثته « وضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك » (شرح) ، ويقول عنه في كهولته وفي اوج دعوته: « ليغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » (فتح) ؛ ويأمره مرارا بأن يستغفر لنفسه ولامته سواء بسواء (غافر ، المؤمن ، نساء ، محمد) .

ويعزو اليه حتى الشك في صدق رسالته ، وفي صدق الله نفسه : « ان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك ... فلا تكونن من الممترين » (يونس) .

اما المسيح فوحده لا يذكر له القرآن خطيئة ، ولا أي علاقة

بالخطيئة على وجه الاطلاق : فلا هو يشعر بحاجة الى استغفـار وتوبة ، ولا يؤمر بهما كما أمر غيره : قبل ميلاده ُعصم هو وامه من الشيطان (آل عمران ٣٦) ، ومن لوثة الخطيئة الاصلية الشاملة (الآية نفسها والحديث) • انه « الغلام الزكي » منـذ البشارة به (مريم ١٩) ؛ ويظل الحياة كلها « مباركا » قدوسا ، لا ينحرف في أي سبيل من ُسبل العنف والقسر ، ولا يقود الغزوات ويشن الحروب ويشيع الرعب في الناس لان الله « لم يجعله جبارا شقيا » (مريم) •

فقل ، يا نظمي ، هل كنت على وعي عندما اخذت توازن بين المسيح ومحمد ؟ وكيف خطر لك ان توازن وقد قرأت القرآن في احضان « شيخ عملاق » ! !

٦ ــ والمسيح آية في شخصه

لا أطيل عليك الكلام ، يا نظمي ، في هذا المجال الواسع الآفاق ، وانما اسرد عليك بعض ما جهلته او تجاهلته من الالقاب السامية ، بل الالهية ، التي ُيغدقها القرآن على المسيح دون سواه ، فيجعله اعلى من السماوات فيما يبقى كل مـن سواه من الانبياء والمرسلين على مستوى البشر من اهل الارض •

اسمع اولا ما يقوله القرآن بالنسبة الى ألـقاب المسيـح النبوية :

المسيح هو « عيسى ابن مريم » التي « اصطفاها الله عـلى

نساء العالمين » (آل عمران) • فهذه النسبة الى امه شهادة لها بديمومة البتولية مدة حياتها كلها ، وشهادة له بميلاده المعجز الفريد من أم « لم يمسسها بشر » (مريم ، آل عمران) •

انه « عبدالله » (مريم) ، وهو « النبي » منذ مولده (مريم)؛ وهو « الرسول » الذي جمع الوحي كله في شخصه (آل عمران) وايده الروح القدس في رسالته (بقرة) ، وطوى الحياة كلها على القداسة السامية : فهو « الغلام الزكي » منذ مولده ؛ وهو « المبارك اينما كان » (مريم)، عاش بتولا وارتفع بتولا: فلا علاقة له بالنساء ، ولا استماله حسن امرأة ، ولا كتم في نفسه ما الله مبديه ••• بل جعل حتى النظرة الطائشة الى المرأة زنى • وقد لا يخفى عليك ، يا نظمي ، ان القرآن حافل باخبار النساء وحوادثهن عند من تطفلت للدفاع عنه •

والمسيح ايضا هو المثال الاعلى : « وجعلناه مثلا لبني اسرائيل » (زخرف) ، وهو « الوجيه في الدنيا والاخرة ومن المقربين » (آل عمران)

فمجموع هذه الالقاب النبوية يظهر المسيح وحده « آية للعالمين » بين الانبياء والمرسلين ، لان القرآن ما نعت قط غيره بما نعته به •

ثم انتقل بك، يا دكتور اخر الزمان ، الى الالقاب الالهية التي ينعت بها القرآن من انكرت وخنت

ان عيسى ابن مريم هو بشهادة القرآن :

مسيح الله

وكلمة الله

وروح الله

اولا : هو « مسيح الله » ـ لقد ورد اسم المسيح في القرآن ثماني مرات : في ثلاث مقترنا باسم عيسى (آل عمران ٤٦ ، نساء ١٥٦ ، نساء ١٦٨) وفي الخمس الباقية وحده (نساء ١٦٩ ، مائدة ١٩ و٧٥ و٧٨ ، توبة ٣١)

وهذا الاسم الكريم قد حملته الملائكة من السماء يوم بشروا العذراء مريم من قبل الله « بالغلام الزكي » ؛ فهو اذن اسم سماوي اوحي به الله : « يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح » (آل عمران) ، وتعلم ، يا نظمي ، ان « المسيح » هو المخلص الذي وعد الله به البشر منذ آدم ، وتنبأت عنه الانبياء واصفين اعماله وشخصه • ثم جاء ، في الموعد الذي حدده الله ، يحقق نبوات الانبياء • فلما اتى القرآن يصدق التوراة والانجيل اعترف بان عيسى ابن مريم هو مسيح الله المنتظر ، وانه حامل الرسالة العظمى التي تنبأ عنها الانبياء من قبل •

وعيسى ابن مريم وحده ، في القرآن ، ينفرد باسم «المسيح» وانفراده بهذا الاسم الحافل بالمعاني يجعله وحده في منزلة خاصة

فريدة عند الله الذي « مسحه » ، أي جعله ، بحسب مفهوم الكتاب والانجيل :

النبي الاعظم

والرسول الاعظم

والكاهن الاعظم

والمشترع الاعظم

والملك الاعظم

وخاتمة النبوة والرسالة والكهنوت والشريعة والملك

وذلك لانه ، كما يقول القرآن في سورة النساء ، كلمة الله : « انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وكلمته القاها الى مريم ، وروح منه » .

ثانيا : وهو « كلمة الله »

اراد القرآن ان يستجمع اوصاف المسيح والقابه ليعرف به التعريف الاوفى فلم يجد لا أسمى ولا اوفى من اللقب الانجيلي المتواتر : المسيح « كلمة الله القاها الى مريم » ، تماما كما في مطلع انجيل يوحنا :: « في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان في الله وكان الكلمة الله... والكلمة صار جسدا وسكن معنا ، في ما بيننا... ورأينا مجده ، مجد وحيد الآب » .

هو كلمة الله المحكية الشخصية الذاتية ، لا كما يقول

المغروضون من اصحابك : « وسمي كلمة لانه خلق بكلمة كن » « الجلالان » من قوله : « انما مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب ثم قال له : كن فيكون »

فجميع الاوصاف ، في آية النساء ١٧٠ الآنفة الذكر تصف شخصا لا تنعت امرا : فكلمة الله هو المسيح ، وعيسى ابن مريم ، ورسول الله ، وهو كلمة الله مثلما هو روح الله . فهذه الاوصاف يفسر بعضها بعضا ويتمم بعضها بعضا ، ويزيدنا وضوحا قوله : « اذ قالت الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه عيسى ابن مريم » (آل عمران ٤٦) : فكلمة الله شخص اسمه المسيح ، لا مجرد نطق او مجرد امر من الله

هو كلمة الله المحكية لانه ، كما قال الرازي : « تكلم في الطفولية ، وآتاه الله الكتاب في زمان الطفولية فكان في كونه متكلما بالغا مبلغا عظيما فسمي كلمة أي كاملا في الكلام »

وهو كلمة الله الذاتية كما قال الرازي ايضا : « واعلم ان كلمة الله هي كلامه ، وكلامه ، على قول اهل السنّة ، صفة قديمة قائمة بذات الله » ، فالمسيح اذن هو كلمة الله أي « صفة قديمة قائمة بذات الله » ، وهذا هو معنى الانجيل والقرآن .

هو كلمة الله الذاتية القائمة في ذات الله ، وهو كلمة الله التي اوجز بها الله وحيه لما ارسله . وقد جمع الرازي المعنيين في قوله : « سمي كلمة الله ، كأنه صار عين كلمة الله الخالقة له

بوجوده المعجز ، او لانه أبان كلمة الله افضل بيان » (آل عمران ٤٥) : فهل بعد « عين كلمة الله » من وحي او نبوة او رسالة او تنزيل ! لما نزل كلمة الله نزل الوحي كله وظهر الله فيه للناس .

ثالثا : المسيح هو « روح الله »

قال القرآن : « انما المسيح عيسى ابن مريم ... كلمة الله القاها الى مريم، وروح منه» (نساء) . فالمسيح اذن هو روح الله

قال الرازي ايضا : « ادخل التنكير ليفيد التعظيم ؛ وقوله « منه » اضافة الى نفسه تعالى لاجل التشريف والتعظيم » . وقال البيضاوي : « وروح منه : ذو روح صدر منه تعالى ، لا بتوسط ما يجري مجرى الاصل والمادة له . وقيل سمي روحا لانه كـان يحيي الاموات والقلوب»

فهو روح الله لانه صدر من ذات الله ، ولا تمييز بين الله وروحه : فالنسبة نسبة مصدر لا نسبـة اضافة ؛ والروح الذي يحيي الاموات والقلوب يحمل في عمله الدليل على ذاته

ففي تعريف القرآن للمسيح أنه مسيح الله ، وكلمة الله ، وروح الله ، يجعل بين المسيح والله صلة شخصية ذاتية تسمو على العالمين ، وعلى الانبياء والمرسلين لا ُيستثنى منهـم احد ، حتى محمد، « خاتمة النبين »

وهكذا ، فالمسيح الذي تتنكر له ، يا نظمي ، وتقارنه بنبي القرآن ـــ والقرآن نفسه قد رفعه فوق الانبيـاء والمرسلين ، لا مستثنيا أحدا ـــ والذي تدعو لمن هو دونه شخصا ورسالة وكتابا

بشهادة القرآن نفسه ، هو هو وحده ـ كما يصفه القرآن :

آية الله في مولده وفي حداثته

وآية الله في رسالته وفي حياته

وآية الله في آخرته وفي يوم الدين

وآية الله في كماله وقداسته

وآية الله في شخصه

لانـه

مسيح الله

وكلمة الله

وروح الله

فترى انه ليس فـي التـوراة والزّبور والنبيين والحكمة والقرآن وفي كل كتاب منزل او غير منزل ، اوصاف والقاب تداني من قريب او بعيد ما يخص به القرآن ـ بعد الانجيل ـ المسيح عيسى ابن مريـم : فدونه الملائكـة والبشر ، ودونه الانبيـاء والمرسلون ، ودونه سائر العالمين طرا :

فهو وحده آية الله في عالمه

وهو وحده كلمة الله وروح الله في ذاته

وحري بك ، يا نظمي ، بعد اذ طاش سهمك في محاولتك الموازنة بين المسيح ومحمد ، وبعد اذ تأكد لك — اذا كنت حقيقة على الاسلام ! — ان قرآنك هو نفسه الذي يسمو بالمسيح حتى الصميم من ذات الله سبحانه ويجعل كل من سواه من الانبياء بما فيهم محمد نفسه في الصميم من طينة البشر — فحري بك اذن ان تصلي الفاتحة حتى يهديك الله انت وامثالك الى الصراط المستقيم :

« الحمد لله رب العالمين ، ملك يوم الدين : اياك نعبد ، واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »

وتعلم انه قبل القرآن ونبيه نزل كلمة الله الى الناس اجمعين وعلمهم انه : « الصراط والحقيقة والحياة » (يوحنا)

فهو الصراط المستقيم الاوحد الذي يقود الى الحقيقة ، وهو الحقيقة التي تعطي الحياة الالهية ، وهو الحياة الالهية التي يعطيها للمؤمنين به في هذه الدنيا وفي الاخرة لانه هو «ملك يوم الدين» على حسب قوله : « حينئذ يقول المسيح الملك للذين عن يمينه : تعالوا ، يا مباركي ابي رثوا الملك المعد لكم منذ انشاء العالم» (متى)

•

ان للناس عقولا ، وان كان للعقول بعض الاحيان سكرة، فلا بد لها من فكرة ! واذا فكرت فويل للعابثين بها يوم ينكشف عبثهم ! يوم لا ينفعهم ما جمعــوا على حساب البــلاد وهدوئها وسلامها !

ان بلادنا ، يا نظمي ، ما كانت بحاجة الى هذه النضجة ! فلا المسيحيون هاجموا الاسلام ، ولا الاسلام كان مضطهدا من المسيحيين حتى تأخذك الشهامة لتدافع عن المظلومين !

ان بلادنا ليست بحاجة الى تجريح الاديان لانها معرضة الى هجوم الملحدين فلا يجوز والحالة هذه تسفيه الاديان فنعطي سلاحا لاعداء الدين ليضربوه بما نعد لهم من اسلحة كهذا السلاح

وفقنا الله جميعا لخير الوطن وبنيانه على اسس من المبادىء القويمة والمثل العليا !

الفهرست



PUBLISHED BY THE AMERICAN
AND CANADIAN COPTIC ASSOCIATIONS

APRIL 1981